الجمهوريـــة الجزائـرية الديمقراطيـة الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة زيان عاشور– الجلفة –

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ وعلم الآثار

مكانة العلماء الاجتماعية في الغرب الإسلامي المؤرخ والطبيب ابن الجزار القيرواني نموذجًا

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر

في تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالب:

تواتي تواتي

إشراف الأستاذ:

د– لبيض بوبكر

السنة الجامعية: 2026/2025

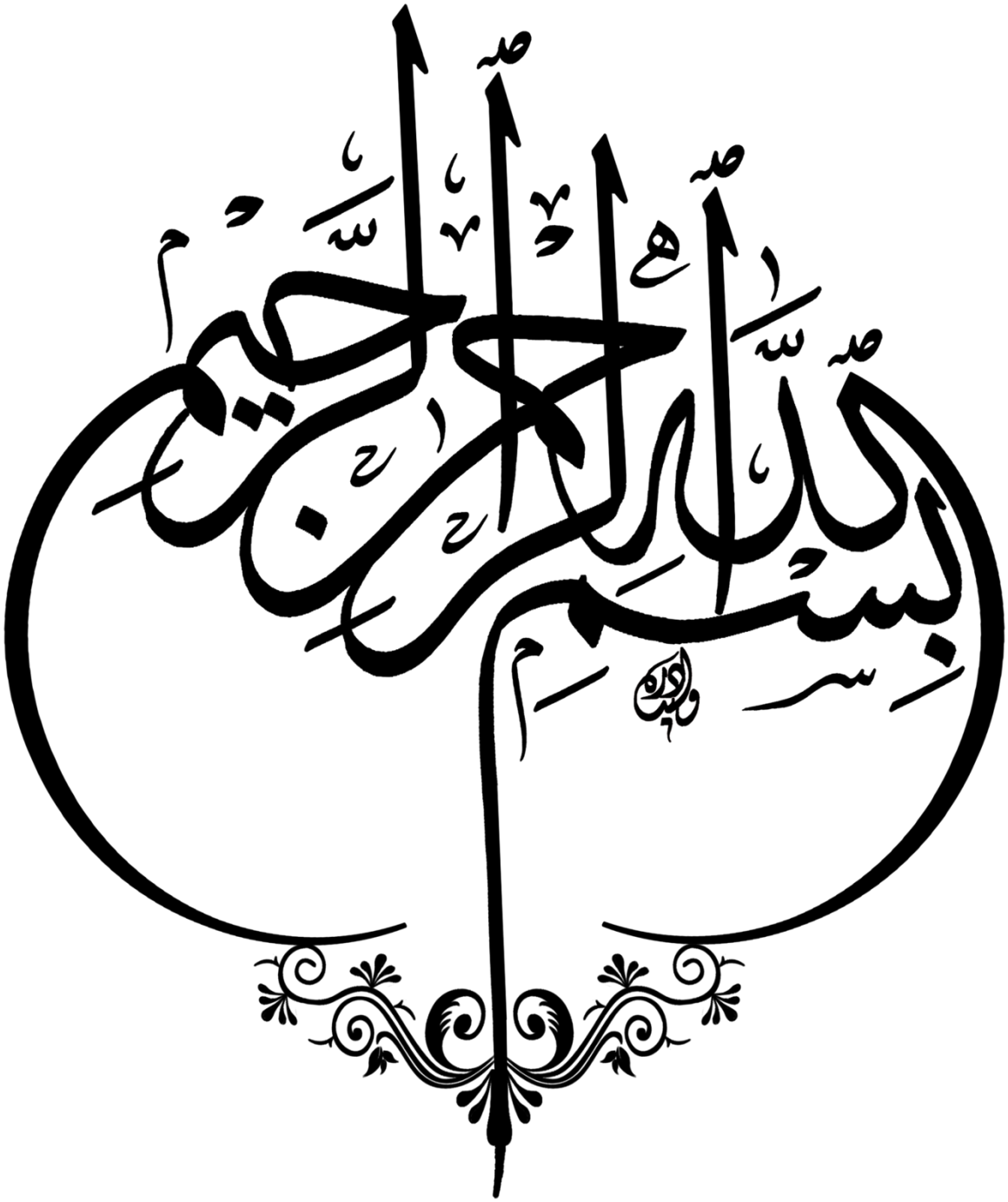
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

انطلاقًا من قوله ﷺ: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله»،

أستفتح بالشكر والحمد لله تعالى على توفيقه وإتمام هذا العمل.

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى كافة أساتذتي الكرام **بقسم التاريخ**،

كلٌّ باسمه ومقامه، لما قدموه من علم وتوجيه .

كما أخصّ بالشكر والعرفان أستاذي المشرف الدكتور " **لبيض بوبكر**"،

حفظه الله ورعاه، على دعمه وإشرافه القيّم، وصبره وتوجيهاته السديدة .

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى رئيس القسم الأستاذ "**ميلود بن حاج**"،

وإلى الأساتذة الأفاضل:

الدكتور كمال قمان، الدكتور عبد القادر ربوح،

الدكتورة زينب ملياني، الدكتور أحمد شارف، الدكتور محمد عيساوي،

لما كان لهم من أثر طيب في مساري العلمي .

فلكم جميعًا مني خالص الشكر وعظيم الامتنان".

الإهداء

" إلى والديّ وعائلتي وأقاربي وأصدقائي، لكم كل الحب والامتنان "

" إلى الذين لم يُهدَ لهم من قبل، إليكم هذا الإهداء كعربون تقدير واحترام"

قائمة المختصرات:

الرمز	المعنى
ت	توفي
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تق	تقديم
ج	الجزء
د د ن	دون دار نشر
د ب ن	دون بلد نشر
د ت ن	دون تاريخ نشر
ص	صفحة
ط	طبعة
ع	العدد
مج	المجلد
م	ميلادي
هـ	هجري

المقدمة

1-التعريف بالموضوع

شهد الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط نهضة علمية وثقافية، أبرزت حواضر علمية، وبروز طبقة "العلماء" كقوة اجتماعية داخل المدن الحضرية الكبرى، فقد استطاع العالم والفقيه في تلك البيئة من خلال علمه وتخصصه أن يصنع لنفسه مكانة وقيمة اجتماعية لتصبح سلطة رمزية تضاهي أحيانا سلطة الحكام، وأصبح العلماء ركيزة أساسية لم يقتصر تأثيرهم على العلم وحلقات التدريس بل امتد ليشمل مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والأخلاقية.

وتعد حاضرة القيروان نموذجا مثاليا لدراسة التفاعل بين العلم والمجتمع خاصة مع بروز شخصيات جمعت بين المعرفة والانخراط الاجتماعي، ويأتي على رأس هؤلاء الطبيب والمؤرخ ابن الجزار القيرواني، الذي لم يكتسب مكانته لكونه طبيب مشهورا أو المؤرخ الذي حفظ ذاكرة القيروان، بل من خلال ما جسده في شخصه من خلال القيمة الاجتماعية التي كان يحظى بها والذي جعل من علمه أداة لخدمة العام والخاص.

وعليه فان دراسة مكانة العلماء الاجتماعية من خلال نموذج ابن الجزار القيرواني، ليست استعراض لسيرته ذاتية بل محاولة استكشاف المركزية الاجتماعية للعلماء في الغرب الإسلامي، وكيف ساهم الطب في تعزيز وصياغة المنزلة الاجتماعية داخل المجتمع القيرواني خاصةً وفي الغرب الإسلامي عامة.

2- أهمية الموضوع

إن دراسة موضوع المكانة الاجتماعية من خلال نموذج ابن الجزار القيرواني له عدة اعتبارات مهمة ويمكن حصر هذه الأهمية في النقاط التالية:

-تكمن الأهمية في الانتقال من دراسة التاريخ السياسي (تاريخ الحكام والدويلات) إلى دراسة "تاريخ النخب" وتسليط الضوء على فئات المجتمع وعلى رأسهم "العلماء" وتأثيرهم الاجتماعي في الغرب الإسلامي.

-إبراز الدراسة للعالم الموسوعي من خلال "ابن الجزار القيرواني" الذي جمع بين أصناف العلوم على غرار الطب.

-إن أهمية دراسة الموضوع هي تسليط الضوء على حاضرة القيروان كمركز إشعاع حضاري وإبراز خصوصية المدرسة الطبية القيروانية وإسهاماتها.

-تكتسي الدراسة أهمية خاصة من خلال اعتمادها على تراث ابن الجزار نفسه، من خلال استقراء مؤلفاته لاستخراج المؤشرات الاجتماعية في الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري.

-تساهم الدراسة في الربط بين الماضي والحاضر، وفهم الجذور التاريخية للمكانة التي يتمتع بها المثقف في المجتمعات المغاربية، واستلهام القدوة من شخصيات التاريخية التي وضعت العلم في خدمة الإنسانية.

3- دوافع اختيار الموضوع

*الرغبة الشخصية: تأتي الرغبة الشخصية في مقدمة اختياري بصفتي ممارساً في القطاع الصحي (مخبري متخصص) من جهة، وشغفي بالبحث التاريخي من جهة أخرى وهو ما منحني فرصة للمزج بين التخصصين في دراسة "تاريخ العلوم".

*أسباب موضوعية: ندرة الدراسات التاريخية التي تركز على "المكانة الاجتماعية" للأطباء مقارنة بالدراسات التي ركزت على الفقهاء والقضاة مما جعل من هذا البحث ضرورة علمية.

*إثراء البحث: وذلك بالمساهمة ولو باليسير في إثراء البحث العلمي في مجال الطب والدراسة الاجتماعية للعلماء وتسليط الضوء على شخصية ابن الجزار التي لم تلق الاهتمام الكافي في الدراسات التاريخية.

4- الإشكالية

ومن هنا تتبلور إشكالية دراستنا في هذا التساؤل:

-كيف تجلت مكانة العلماء الاجتماعية في الغرب الإسلامي من خلال نموذج ابن الجزار القيرواني؟ وما هي العوامل التي رسخت هذه المكانة بين العامة والخاصة؟

*** الأسئلة الفرعية:**

- كيف كانت الظروف والأوضاع المحيطة بابن الجزار؟
- من هو ابن الجزار القيرواني؟
- ما أهم مؤلفاته وإسهاماته العلمية؟
- ما هي مظاهر المكانة الاجتماعية التي حظي بها ابن الجزار؟
- ما دور مؤلفاته وانتشارها في تعزيز شهرته وأثره؟

5- خطة البحث

ولمعالجة مشكلات موضوع البحث فقد قسمنا البحث إلى مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة وكان تقسيم هذه الفصول إلى مباحث أساسية وهي كالتالي:

في مقدمة حاولنا التعريف بالموضوع وإبراز أهميته وإشكاليته والمنهج المتبع بالإضافة إلى عرض لأهم المصادر والمراجع المعتمد عليها.

-أما **التمهيد:** فقدمنا فيه عرضا موجزا حول الأوضاع العامة لبيئة ابن الجزار وكذا الأوضاع السياسية في عصره وإعطاء لمحة عن علاقة العلماء بالسلطة في الغرب الإسلامي وذلك من أجل معرفة البيئة التي مكنت له من أن يحتل مكانة علمية واجتماعية في الغرب الإسلامي.

الفصل الاول: السيرة والمسار العلمي لابن الجزار القيرواني، يتضمن هذا الفصل ترجمة لابن الجزار والذي يتكون من ثلاثة مباحث حيث خصصنا المبحث الأول لسيرة ابن الجزار وعرض اسمه ونسبه واختلاف المؤرخين في تحديد سنة ميلاده ووفاته، وحاولنا من خلاله عرض مختلف الآراء في قضية ترجيح سنة ولادة ووفاة ابن الجزار. أما المبحث الثاني "النشأة والحياة الاجتماعية" والذي تفرع إلى أربعة مطالب فكان المطلب الأول نشأته وبيئته الأسرية وكيف أخذ مهنة الطب عن عائلته التي اشتهرت بالعلم والطب وكذا حياة ابن الجزار، والمطلب الثاني "شيوخه وتلاميذه" فحاولنا عرض أسماء أهم شيوخه وتلاميذه التي أفادتنا بها المصادر، ثم المطلب الثالث "تنظيم العيادة والصيدلة عند ابن الجزار" فتطرقنا فيها إلى كيفية ممارسة مهنة الطب عند ابن الجزار والذي اتخذ من بيئته عيادة لمعالجة المرضى، أما المطلب الرابع بعنوان "مذهب ابن الجزار" فقمنا بعرض اختلاف آراء المؤرخين في مذهبه والتحقق فيها، أما المبحث الثالث فكان بعنوان "جهوده العلمية ومؤلفاته" والذي قسمناه إلى مطلبين فالأول كان بعنوان "جهوده العلمية" حيث لم يقتصر علم ابن الجزار في ميدان الطب بل امتد إلى ميادين أخرى كالتاريخ والجغرافيا والأدب والفلسفة، وفي الثاني "مؤلفاته الطبية" حيث عرضنا تعدد كتب ابن الجزار في الطب وتآليفه في عدة اختصاصات طبية (طب أطفال، أمراض معدة، أمراض الرأس...) وذكرنا المؤلفات الموجودة والمفقودة.

الفصل الثاني: إخترنا له عنوان "**البعد الاجتماعي لمكانة ابن الجزار ودلالاتها**" وقسمناه إلى خمسة مباحث فحمل المبحث الأول عنوان "علاقة ابن الجزار بالسلطة في عصره" وعرضنا

موقفه من السلطة أما المبحث الثاني فكان بعنوان "مكانة ابن الجزار لدى العامة" وذلك من خلال العوامل التي رسخت مكانته لدى العوام (شهرة العائلة وشهرته كطبيب وصفاته وأخلاقه)، وفي المبحث الثالث فكان بعنوان "مكانة ابن الجزار بين العلماء وطلبة العلم"، وذلك لمعرفة قيمته بين الأوساط العلمية، وفي المبحث الرابع "الطب ودوره الاجتماعي عند ابن الجزار" حاولنا عرض تأثير مهنة الطب ومؤلفات ابن الجزار على فئات المجتمع، وأما المبحث الخامس بعنوان "أثر ابن الجزار" وقسمناه إلى ثلاثة مطالب وهي تأثيره على دوائر الثلاث في شمال إفريقيا وفي المشرق وفي الأندلس وأوروبا.

الخاتمة: ذكرنا في الأخير جملة من النتائج التي كانت خلاصة دراسة لموضوع البحث على أمل أن تكون مفتاحاً لبداية دراسات أخرى في هذا الشأن.

6- الدراسات السابقة للموضوع

علم الطب في المغرب الإسلامي خلال القرن 4هـ (ابن الجزار القيرواني أنموذجاً) للطالبتين سرق مريم وبن شويطة سهام، المدرسة العليا للأساتذة طالب عبد الرحمن بالأغواط، قسم التاريخ والجغرافيا، مذكرة نهاية الدراسة للتخرج برتبة أستاذ التعليم المتوسط، الموسم الدراسي: 2022/ 2023م. هذه المذكرة تتناول تطور الطب في المغرب الإسلامي خلال القرن الرابع هجري ومدى مساهمة ابن الجزار في هذا التطور من خلال مؤلفاته الطبية.

7- منهج البحث

اعتمدنا خلال البحث المنهج السردي الوصفي كسرد بعض الأحداث والوقائع التاريخية لحياة ابن الجزار ووصف خصاله الشخصية، والمنهج التحليلي اعتمدناه في تحليل بعض المعلومات المتضاربة من قبل بعض المؤرخين في تحديد تاريخ ميلاد ووفاة ابن الجزار، وفي مذهبه والترجيح بين آرائهم، والمنهج الإحصائي اعتمدنا عليه في سبر آراء المؤرخين وإحصاء مؤلفات لابن الجزار.

8- أهم المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل، استفدنا منه في الترجمة لابن الجزار.
- كتاب زاد المسافر وقوت الحاضر لابن الجزار القيرواني، أفادنا بالتوسع في تفاصيل حياة ابن الجزار والتحقق في مذهبه وتاريخ الولادة والوفاة.
- كتاب في المعدة وأمراضها ومداواتها لابن الجزار وأفادنا في معرفة مؤلفات ابن الجزار.
- كتاب في طب المشايخ وحفظ صحتهم استفدنا منه بخصوص حياة ابن الجزار وتنشئته الاجتماعية.

ثانياً: المراجع

- كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين لحسن حسني عبد الوهاب يعطينا فهماً أكثر لحياة الاجتماعية لابن الجزار.
- بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب لابن مراد، الذي أفادنا في المبحث الخامس أثر ابن الجزار وأيضاً في إبراز مكانة ابن الجزار القيرواني.

9- صعوبات البحث

-من بين الصعوبات التي صادفتني في البحث هي قلة المصادر والتراجم عن ابن الجزار فنجد أغلبها قد نقلت عن بعضها البعض.

-ندرة المصادر حول الحياة الاجتماعية لابن الجزار حيث ركزت (المصادر والتراجم) حول علمه ومؤلفاته أكثر من التفاصيل عن حياته مما جعل استنتاج مكانته الاجتماعية يتم بشكل غير مباشر.

-صعوبة الربط بين الشخصية والمكانة الاجتماعية فليس كل عالم له مكانة اجتماعية والعكس صحيح، لذلك يحتاج الباحث الربط الدقيق بين مؤلفاته الطبية وسلوكه الاجتماعي.

-قلة اهتمام المصادر التراثية بأصحاب العلوم التجريبية كالأطباء والصيادلة ومنهم ابن الجزار القيرواني وربما يعود ذلك للاضطرابات السياسية بالمغرب الإسلامي في القرن الرابع الهجري إذ صرفت المصادر نحو الأحداث الكبرى على حساب الجوانب الاجتماعية.

في ختام هذا العمل، نرجو أن نكون قد وفقنا في تقديمه بالصورة التي تليق به، وأن يكون هذا العمل المتواضع إضافة مفيدة لمكتبة قسم التاريخ بجامعة زيان عاشور بالجلفة، كما أتوجه بجزيل الشكر والتقدير إلى أساتذتنا الذين لم يبخلوا علينا بالتوجيه والنصح، سائلين الله لهم التوفيق والسداد.

تمهيد

الأوضاع العامة لبيئة ابن الجزار القيرواني:

من أجل الوقوف على ملامح المكانة الإجتماعية لابن الجزار، يجب فهم السياق العام الذي تشكلت فيه هذه الشخصية خلال القرن الرابع هجري والذي سيفصل فيه في الفصول اللاحقة.

1-الظروف السياسية في عصر ابن الجزار:

أ- الدولة العبيدية وبداية التحول السياسي في المغرب الإسلامي:

تأسست الدولة العبيدية الشيعية في سنة 296هـ/910 م بعد سقوط الأغالبة في المغرب الأدنى على يد عبد الله الشيعي [1]وكانت عاصمة الدولة فيها الرقادة ثم المهدية ثم المنصورة وتوالى عليها أربعة حكام هم: عبيد الله المهدي (297-322هـ/911-934م) حيث كانت فترته مليئة بالاضطرابات والقلاقل ثم تولى بعده أبو القاسم محمد القائم (322-334هـ/934م)ثم خلفه ابنه أبو الطاهر إسماعيل المنصور334-341هـ/946-953م) حيث تميزت فترته بالقضاء على ثورة صاحب الحمار، ثم تولى بعد الحكم ابنه المعز لدين الله (342-365هـ/954-976م)وتعتبر فترته أزهى عصور المرحلة العبيدية بحيث استطاعت الدولة العبيدية مد نفوذها إلى مختلف أنحاء بلاد المغرب من برقا شرقا الى طنجة غربا[2].

لقد كانت نشأة الخلافة العبيدية قائمة على المذهب العقدي حيث ادعى أئمتها أنهم ورثوها عن علي رضي الله عنه[3] ثم تحولت فيما بعد إلى حركة سياسية[4].

ويذكر القاضي النعمان في كتابه "الافتتاح" أن العبيدين بعدما دخلوا بلاد المغرب الإسلامي واستقروا بها قاموا بالتنظيم الإداري لدولتهم، كما كان الفضل الكبير للأغالبة في بعض الأمور الإدارية والتي أبقى عليها العبيديين وأضافوا عليها أمور تنظيمية أخرى[1].

---

[1] محمد جمال الدين، سرور تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة: دار الفكر العربي، د ت ن، ص:23.

[2] رحيمي عبد الحفيظ، أجهزة الأمن الداخلي في الدولة الفاطمية ببلاد المغرب 297هـ/363هـ /911-974م، جامعة بشار، د ت ن، ص: 42.

[3] محمد جمال الدين سرور، المرجع السابق، ص: 23.

[4] مختار عمارة، (مجالس الحكمة في الدولة الفاطمية وأهدافها المذهبية والسياسية 296-هـ567/909-1171 م)، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 12، ع 1، 2021، ص:213.

ومن الأمور التنظيمية التي أصدروها هي أوامر بمنع العمل بالمذهب المالكي ومختلف المذاهب الأخرى، وأُجبر القضاة والعمال على العمل بتعاليم المذهب الإسماعيلي ومنع الفقهاء بالإفتاء بغير مذهبهم[2].

ذكر القاضي عياض أن المذهب الغالب بالقيروان هو المذهب المالكي ولكن بعد ظهور دولة بني عُبيد الذين كان مذهبهم الشيعي الإسماعيلي المعارض للمالكية وبرغم أن السلطة كانت تتبنى الإسماعيلية إلا أن أغلبية أهل السنة من العلماء كان مخالفاً لسياستهم ومذهبهم، ومن نتائج هذا الخلاف هو أخذ أشكال من المواجهة كان له أثر في المكانة الإجتماعية للعلماء في الفترة العبيدية[3].

وفي عهد المعز لدين الله الفاطّمي انتقل الفاطميون بدولتهم إلى مصر لتكون السلطة المركزية هناك وتركوا بني زيري لتولي الحكم مع الولاء التام والكامل نحو الخلافة الفاطمية في القاهرة ومذهبها الشيعي الإسماعيلي[4].

ب- الخلافة الأموية في الأندلس:

كانت الأندلس خلال القرن الرابع للهجري ضمن حكم الخلافة الأموية تحت حكم عبد الرحمان الناصر(316-350هـ) حيث تميزت الأوضاع قبل حكمه بالاضطرابات وعدم الاستقرار، فقام عبد الرحمان الناصر بذكائه وحسن خلقه وتدبيره السليم بتثبيت الحكم والاستقرار إلى البلاد واتبع سياسة الترهيب ونبذ الخلاف والشقاق والقضاء على الخارجين على الدولة وبعدما توحدت الأندلس تحت سلطانه تحول النظام من الإمارة إلى الخلافة، وأعلن نفسه الخليفة وبهذا أعاد الأندلس إلى وحدتها[5].

---

[1] القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة ، تح فرحات الدشراوي، تونس-الجزائر: الشركة التونسية للتوزيع تونس وديوان المطبوعات الجامعية، ط2-1986،ص: 302

[2] رحيمي عبد الحفيظ، المرجع السابق، ص:42.

[3] القاضي عياظ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعيان مذهب مالك، تح: محمد بن تاويت الطنجي، المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1403هـ -1983 م، ج 1، ص:26.

[4] د، حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب ولأندلس، القاهرة: دار الرشاد، ط5: 1421-2000م، ص:162.

[5] حسين المؤنس، المرجع السابق، ص: 353- 354.

في فترة الخلافة الأموية كانت طبيعة العلاقة بين العلماء والسلطة منقسمة إلى فئتين، فئة اختارت اعتزال السياسة والانشغال بطلب العلم ونشره، وفئة شاركت في الحياة السياسية وتقلدت مناصب في الخلافة الأموية[1].

وجب الذكر أن الوضع السياسي في المغرب الأقصى كان تحت حكم الأدارسة خلال القرن الرابع الهجري أين كانوا بين قوتين متنافستين على المغرب وهم الأمويون في الأندلس والعبيدين حيث تقلبوا في التبعية سالكين طريقاً مزدوجاً بينهم مما عرضهم للاضطرابات بين هاتين القوتين إلى غاية سقوطهم 375هـ[2].

2-القيروان كحاضرة علمية وثقافية:

شكلت حاضرة القيروان الفضاء العلمي والحاضنة التي مكنت لابن الجزار أن يحتل مكانة في تاريخ الطب في إفريقية وللإحاطة بالدور الحضاري للقيروان لابد من معرفة سياقها الجغرافي والتاريخي.

أ- الموقع الجغرافي: تقع القيروان[3] كما يذكر البكري: "في بساط من الأرض مديد في الجوف منها بحر تونس وفي الشرق بحر سوسة والمهدية وفي القبلة بحر صفاقس وقابس وأقربها منها البحر الشرقي، بينها وبينه مسيرة يوم (وبينها وبين الجبل مسيرة يوم) وبينها وبين سواد الزيتون المعروف بالساحل مسيرة يوم، وشرقيها سبخة (ملح عظيم طيب نظيف) وسائر جوانبها أرضون طيبة كريمة[4].

---

[1] بن حاج ميلود، (علاقة العلماء بالسلطة ودورهم في الحياة السياسية بالأندلس ما ببين القرنين 2 -5هـ/ 8-11م عصر الأمارة والخلافة الأموية)، مجلة دراسات وأبحاث، مجلد 10، ع 04، ديسمبر 2018، ص:227.

[2] محمد حقي، إمارة الادارسة محاضرات في تاريخ الغرب الإسلامي جامعة مولاي إسماعيل، كلية الادب والعلوم الإنسانية لمكناس المسلك التاريخ والحضارة والتراث، الموسم الجامعي 2020-2021، المحاضرة السابعة، ص:05.

[3] القيروان: لفظ فارسي معرب وهو بالفارسية "كاروان" ومعنى القيروان في اللغة القافلة يقال أن القافلة نزلت بذلك المكان وبنيت المدينة في موصفها فسميت باسمها وهو اسم للجيش أيضا وقيل القيروان بفتح الراء الجيش وبضمها القافلة، انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت- لبنان: دار المصادر، ج4، ص:420.

[4] عبد الله بن عبد العزيز البكري، المسالك والمدارك، تح ادريان فان ليوفن وانذري فيري، دار الغرب الإسلامي 1992م، ج2، ص:675.

ب-**تاريخ تأسيسها:** أسسها عقبة بن نافع الفهري سنة 50 هـ/670م لتكون قاعدة لتثبيت الفتح والانطلاق غربا لمواصلة الفتوحات، ولتكون أيضا مركزاً لنشر الإسلام واللغة العربية، لتصبح فيما بعد عاصمة المغرب الدينية والسياسية والعلمية، وكثر فيها الفقهاء والمحدثون والشعراء والعباد[1].

ج-**النهضة العلمية في القيروان:** تعتبر القيروان مركزا حضاريا لانتشار المذهب المالكي لأن جل علماء الغرب الإسلامي توفوا في القيروان في القرن الخامس وقبله[2]،ولقد عرفت نهضة علمية وفكرية وثقافية بوجود سند علمي متواصل عند مشايخ القيروان، واستمرت المدينة في عطائها الأدبي والفقهي والعلمي، وظهر فيها أعلام فقهاء وأدباء وشعراء وأطباء وصيادلة ونخص بالذكر ابن الجزار القيرواني[3] كما كانت هناك مراكز علمية مثل الكتاتيب والمساجد وكذلك بيت الحكمة، كما كانت هناك مؤسسات علمية في القيروان يمثلها العلماء والفقهاء[4].

[1] مبارك بوطارن، القيروان بوصفها أول حاضرة إسلامية في بلاد المغرب ودورها في الإشعاع العلمي حوليات التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، مج الثامن، ع2، د ت ن، ص:12.

[2] خالد ارذاذ، (أثر المدرسة القيروانية في إثراء الحركة العلمية والفكرية في الغرب الإسلامي، القرن الرابع والخامس الهجريين انموذجا)، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، جامعة القاضي عياض مراكش المملكة المغربية، مج19، ع2، السداسي الأول 2022، ص:269.

[3] د. ديب صفية، (الاسهامات الطبية والصيدلية بالقيروان في العهدين الاغلبي والفاطمي) مجلة الباحث –المدرسة العليا للأساتذة الشيخ مبارك الميلي –بوزريعة، مج13، ع01، 25-09-2021، ص:269.

[4] خالد ازذاذ، المرجع السابق، ص: 269.

3-المؤسسات العلمية والتعليمية في القيروان:

عرفت القيروان منذ تأسيسها إلى غاية منتصف القرن الخامس الهجري حركة علمية نشيطة، فقد استقطبت العلماء من بلاد المشرق والمغرب فمنهم من جاءها ضمن الجيوش الإسلامية واستقر بها أو عاد إلى المشرق وكان معظم هؤلاء من الصحابة والتابعين، ومنهم من ولدوا وترعرعوا فيها وتلقوا علومهم عن علمائها ابن الجزار كمثال، ومنهم من وفدوا إليها من مدن إفريقية والمغرب والأندلس مع بداية القرن الثاني الهجري، إما بغرض نشر العلم أو الاستزادة فيه[1] وقد شهدت القيروان في هذه الفترة إنشاء مؤسسات علمية تنوعت بين مساجد وكتاتيب ومكتبات.

د- **المساجد:** تعتبر المؤسسة التعليمية الأولى التي عرفت في الإسلام، حيث يعتبر المكان الرئيسي لنشر الثقافة الإسلامية على غرار وظيفته العبادية المتمثلة في الصلاة، ويعتبر الجامع الذي بناه عقبة بن نافع ومن معه من الصحابة والتابعين سنة 50 هـ أول جامع بني في القيروان، ويعرف بالجامع الأعظم ، وهو أول معهد للإسلام بإفريقية.[2]

ه- **الكتاتيب:** اعتبرت الكتاتيب في القديم كملحقات بالمساجد وتوابع لها، بل إنها وجدت أيضا في دور الأعيان، بل وبالأحرى في قصور الوزراء والأمراء[3]، وتقوم وظيفة الكتاتيب بتعليم القراءة والكتابة للصبيان وتحفيظهم القرءان الكريم، وتعتبر الكتاتيب هي المؤسسة التعليمية الثانية التي عرفها المسلمون[4].

و- **المكتبات:** تعتبر المكتبات من أهم الركائز العلمية والتعليمية في الحضارة الإسلامية، حيث ساهمت في توسيع نطاق الحضارة، وكانت المكتبات موضع للتدريس أو المناظرة،

---

[1] مبارك بوطارن، المرجع السابق، ص:18.

[2] الحسين محمد شواط مدرسة الحديث في القيروان من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري، الرياض- السعودية: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، 1411م، ص: 129-131.

[3] خالد ازذاذ، المرجع السابق، ص: 269.

[4] الحسين محمد شواط، المرجع السابق، ص: 138.

أو المذاكرة أو مقابلة الكتب وتصحيحها ،بل ونسخها أيضا ،حيث لم تكن الطباعة قد عرفت بعد[1]، وقد تنوعت المكتبات في الإسلام إلى: المكتبات العامة المفتوحة للجمهور على اختلاف أنواعه وأجناسه وثقافاته والمكتبات الخاصة التي يمتلكها أفراد معنيون لخدمة أغراضهم الشخصية والمكتبات الملحقة بالمساجد والجوامع والربط ومكتبات الدولة التي ينشئها الخليفة أو الأمير أو حاكم الولاية، والمكتبات المخصصة للدراسات العليا ،والمكتبات التابعة للمدارس والجامعات على اختلاف أنواعها والمكتبات الموجودة في المشافي والمارستانات وماشابه[2].

ومن أهم وأشهر المكتبات العامة في القيروان مكتبة جامع عقبة بن نافع الموجودة بالمقصورة قِبْلي قاعة الصلاة، وقد أنشئت هذه المكتبة التي عرفت ببيت الكتب تدريجيا إبتداءا من أول القرن الثالث الهجري في عهد الأغالبة[3].

د- بيت الحكمة في القيروان:

تضم هذه المكتبة نفائس أمهات الكتب، أنشأها إبراهيم الثاني الأغلبي في رقادة بالقيروان، محاكاة لبيت الحكمة التي أسسها هارون الرشيد في بغداد، حيث كانت هذه البيت نواة لمدرسة الطب القيروانية، والتي أثرت في الحركة العلمية في المغرب الإسلامي لزمن طويل[4].

لقد كان بيت الحكمة مكتبة ومعهدا علميا للدرس والبحث العلمي والترجمة من اللاتينية ومركزا لنسخ المصنفات، وقد أفرزت مؤسسة بيت الحكمة في رقادة مدرسة طبية سميت

[1] مبارك بوطارن، المرجع السابق، ص: 22.

[2] محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصائرها، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2- 1398-1978، ص: 82.

[3] مبارك بوطارن، المرجع السابق، ص: 22.

[4] خالد ازداذ، المرجع السابق، ص: 276.

بالمدرسة الطبية القيروانية، باشرت نشاطها مع بدايات تأسيس بيت الحكمة وكان الرائد لها والمؤسس هو الطبيب البغدادي إسحاق بن عمران(ت 294هـ/907 م) وهو الذي به ظهر الطب بالمغرب وعرفت الفلسفة، نشأ في بغداد وأخذ العالم عن كبار أطبائها مما جعله معروفا في بغداد وضواحيها، ووفد إلى القيروان بدعوة من الأمير الأغلبي إبراهيم الثاني حوالي (سنة 246هـ/878م) وكان من أبرز الوجوه الطبية في هذه المدرسة إضافة إلى مؤسسها والد أحمد بن الجزار(إبراهيم) وعمه (أبو بكر) [1]وزياد بن خلفون [2]وكما اشتهر بهذه المدرسة الطبيب إسحاق بن سليمان الإسرائيلي (240-341هـ/855-955م) [3]و هؤلاء جميعا كانوا شيوخ الطبيب القيرواني أحمد بن الجزار الذي سيأتي الحديث عنه لاحقا[4].

4-المؤسسات العلاجية:

تنوعت الأماكن التي مارس الأطباء فيها مهنة الطب والصيدلة، فمارسوها في بيوتهم وعيادتهم وكذلك في الدمن التي سميت بالمستشفيات أو البيمارستانات.

أ- البيوت والعيادات الطبية:

اتخذ الطبيب ابن الجزار من بيته مكانا لمعالجة المرضى، وما ذكره ابن جلجل وغيره أنه كان قد بنى عند باب داره محلا مستقلا لعيادة الزائرين، واتخذ فيها قسما خاصا للصيدلة أقعد فيه غلاما له يسمى رشيقا أعد بين يديه جميع الأدوية من معجونات وأشربة ومراهم وغير ذلك في ورقة يتحول بها المريض الى رشيق، فيعطيه الدواء

[1] ديب صفية، المرجع السابق، ص: 430.

[2] زياد بن خلفون، مولى بني الاغلب لم يرد ذكر أصل زياد بن خلفون والراجح أن يكون والده من الموالي الصقالبة أو الصقليين أو أن يكون من الوافدين التجار، وكان زميلا لإسحاق بن سليمان في خدمة زيادة الله الثالث والمهدي وعبيد الله كان أثيراً عنده طيلة عشر سنوات، انظر عكاوي رحاب خصر، الموجز في تاريخ الطب عند العرب، لبنان: دار المناهل لبنان، د، ت، ن، ص: 250.

[3] إسحاق بن سليمان، أصله من مصر اشتهر بالإسرائيلي انتقل في نهاية القرن الثاني للهجري من الإسكندرية إلى القيروان وهناك من أرجع مجيئه انه عندما سمع بنصيحة إسحاق بن عمران هاجر إلى القيروان حيث أنه لازم إسحاق بن عمران وتتلمذ عليه وبذلك حمل راية فكر الطبي بعد أستاذه إسحاق بن عمران. انظر محمد محمد زيتون، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، القاهرة: دار المنار، ط1-1988، ص: 395.

[4] ديب صفية، المرجع السابق، ص:431.

المشار إليه، وكان أحمد يتفقد كل يوم قوارير الأدوية، ويرى ما نقص منها ويخرج من داره إلى تابعه رشيق ويعطيه مقدار الأدوية الناقصة1.

ب-الدمّن (البيمارستانات أو المستشفيات):

كانت توجد بتونس عدة دمن (بيمارستانات)[2]في المدن الكبرى كالقيروان وسوسة وصفاقس[3]، وأول هذه البيمارستانات كان ذلك الذي بناه زيادة الله الأغلبي في القرن الثالث الهجري في القيروان في مكان يسمى الدمنة [4]وهو يقع قريبا من مقام الصحابي الجليل أبي زمعة البلوي.[5]

5-التركيبة الاجتماعية في القيروان: إذا أمعنا النظر في تركيب الهيئة الاجتماعية بالقيروان في القرن الرابع نجدها ترجع في الأصل إلى عناصر ومكونات من مختلف الأجناس والأعراق الذين وحدهم الدين الإسلامي، ومن أهم هذه العناصر (البربر)الذين لم تمض عليهم مئة عام من الهجرة حتى أسلموا واندمجوا تحت راية العرب المسلمين إلى الحد الذي صاروا فيه يتحاشون من الانتساب للعنصر الأهلي الأصلي، ثم (العرب)وقد كان وفودهم في موجات متوالية ولم ينقطع تواردهم إلا بزحف بني هلال وبني سليم ونخص بالذكر من بين القبائل العربية التي قدمت إلى إفريقية وإلى القيروان : (التميميين، الأنصار،

---

[1] محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 398.

[2] بيمارستانات: كلمة فارسية مركبة من كلمتين بيمار: بمعنى مريض او عليل او مصاب وستان: بمعنى مكان او موضع او دار او ارض فهي دار المرضى او موضع المرضى ثم اختصرت في الاستعمار فصارت مارستان انظر احمد عيسى بك تاريخ البيمارستانات في الإسلام ط2، دار الرائد العربي، بيروت، 1981م، ص:4.

[3] ديب صفية، المرجع السابق، ص:432.

[4] الدمنة: تعني الدار وتعني أثرها كما تفيد ما احتط من البعرة الطين عند الحوض او انها تعني بية الماء في الحوض كما تفيد عفن النخل وسوادها كما ان الدمنان يعني الإدمان والعفن كما تفيد معنى الإقامة ولزوم المكان انظر جمال الدين لابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 2003، ج7، ص:304.

[5] أبي زمعة البلوي، هو من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والذين بايعوه تحت الشجرة دخل افريقية واقام بها وحضرته الوفاة وذلك في غزوة معاوية بن حديج سنة 35هـ المالكي أبو بكر عبد الله رياض، النفوس في طبقات علماء افريقية، تح: بشير بكوش، محمد العروسي، ط2بيروت-لبنان: دار الغرب إسلامي، 1924ج 1 ص: 84.

الأوس والخزرج، الأزد، القيسيين، تنوخ، بني جرير، الكنديين، كنانة)، وغير هؤلاء زيادة على ما كان يقطنها من اليهود والنصارى الذين بقوا متمسكين بديانتهم محترمين في أشخاصهم وشعائرهم لتسامح الإسلام.[1]

[1] حسن حسني عبد الوهاب، بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق، تونس: مكتبة المنار، ط2- 1330م، ص:31.

الفصل الأول: السيرة والمسار العلمي لابن الجزار القيرواني

الفصل الأول:

السيرة والمسار العلمي لابن الجزار القيرواني

المبحث الأول: سيرة ابن الجزار.

المطلب الأول: مولد ابن الجزار ونسبه.

المطلب الثاني: اختلاف المؤرخين في تحديد سنة الميلاد ووفاة ابن الجزار.

المطلب الثالث: محاولة تقريب في سنة ولادة ووفاة ابن الجزار.

المبحث الثاني: النشأة والحياة الاجتماعية لابن الجزار:

المطلب الأول: النشأة والبيئة الأسرية.

المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه.

المطلب الثالث: تنظيم العيادة والصيدلة عند ابن الجزار.

المطلب الرابع: مذهب ابن الجزار.

المبحث الثالث: جهوده العلمية ومؤلفاته:

المطلب الأول: جهوده العلمية

المطلب الثاني: مؤلفاته الطبية

يُعدّ ابن الجزار القيرواني من أبرز العلماء الذين أنجبتهم بلاد المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، حيث استطاع أن يفرض مكانته العلمية والاجتماعية بفضل ما امتلكه من علم واسع في الطب، وما خلّفه من مؤلفات أسهمت في تطور المعرفة الطبية داخل العالم الإسلامي وخارجه. وقد ارتبط اسمه بمدينة القيروان التي كانت آنذاك مركزًا علميًا وحضاريًا مهمًا، ساعد على بروز عدد كبير من العلماء والأطباء.

ولفهم المكانة الاجتماعية التي حظي بها ابن الجزار، كان من الضروري التطرق إلى سيرته الذاتية ومساره العلمي، من خلال التعرف على نسبه ومولده، اعتمادًا على ما ورد في المصادر التاريخية. كما يقتضي الأمر دراسة نشأته وبيئته الاجتماعية والعلمية، وشيوخه وتلاميذه، إضافة إلى تنظيمه لمهنة الطب والصيدلة ، وصولًا إلى إبراز جهوده العلمية وأهم مؤلفاته الطبية التي أكسبته شهرة واسعة ومكانة عالية بين علماء عصره.

المبحث الأول: سيرة ابن الجزار

عند محاولة الباحث دراسة ترجمة لأحد الأعلام العرب، يواجه بعض الإشكالات المنهجية في بحثه، ومن أهم هذه الإشكالات هي تضارب تواريخ الميلاد والوفاة وصعوبة التحقق من دقتها، واختلاف الأخبار والروايات المتعلقة بالأحداث مع تشكك في مدى مصداقيتها، إضافة إلى تناقل الخبر عن مصدر واحد أو مصدرين مع تكرار الخبر نفسه بصيغ متعددة، وتنطبق هذه الإشكالات الثلاثة كذلك على دراسة سيرة ابن الجزار.

المطلب الأول: مولد ابن الجزار ونسبه

هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن علي بن أبي خالد. المعروف بابن الجزار ولد بالقيروان في عهد الأمير إبراهيم الثاني الأغلبي (261–289 هـ/874–902م) في عائلة اشتهرت بالطب في القيروان[1]، و كانت القيروان تُعد العاصمة الدينية و السياسية لإفريقية في ذلك العصر[2]، ومن بين الحواضر العربية الإسلامية التي كانت تزدهر بحضارتها واتساعها الثقافي والتطور الاجتماعي والاقتصادي[3].

المطلب الثاني: اختلاف المؤرخين في تحديد سنة ميلاد ووفاة ابن الجزار:

بالنسبة لمولده اختلف المؤرخون والباحثون في تحديد التاريخ بشكل دقيق. فمنهم من يقول انه ولد سنة 895/282 هـ[4] وهناك من قال بأنه ولد سنة906/293[5]،وهناك من قال إن

---

[1] ابن الجزار، زاد المسافر وقوت الحاضر، تح: د. محمد سويسي وآخرون، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون "بيت الحكمة"، أوربيس للطباعة، 1999، ج1، ص 7.

[2] أ.د. مبارك بوطارن ، المرجع السابق ، ص 7

[3] ابن الجزار، كتاب في طب المشايخ وحفظ صحتهم، تح: د. فاروق عمر عسيلي، ود. الراضي الجازي، تونس: المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون "بيت الحكمة"، مطبعة الوفاء، 2009، ص: 20.

[4] بودالية تواتية، "العناية بالطفل عند ابن الجزار القيرواني من خلال كتابه سياسة الصبيان وتدبيرهم" ،2016: مجلة عصور جديدة، ع 23، ص: 45.

[5] سادسة الحلاوي، "ابن الجزار القيرواني طبيبًا ومؤرخًا"، د.ت ن: جامعة واسط، ع 7، ص: 25.

مولده كان حوالي 898/284م[1]. في حين ذكر Leclerc بقوله "... ولد في القيروان في بداية القرن العاشر الميلادي..."دون تحديد السنة بدقة[2]. وأيضا من قيل إنه ولد في عهد الأمير إبراهيم الثاني الاغلبي كما ذكرنا سابقا [3].... ورأي آخر يقول إنه ولد سنة 898/285 م[4]

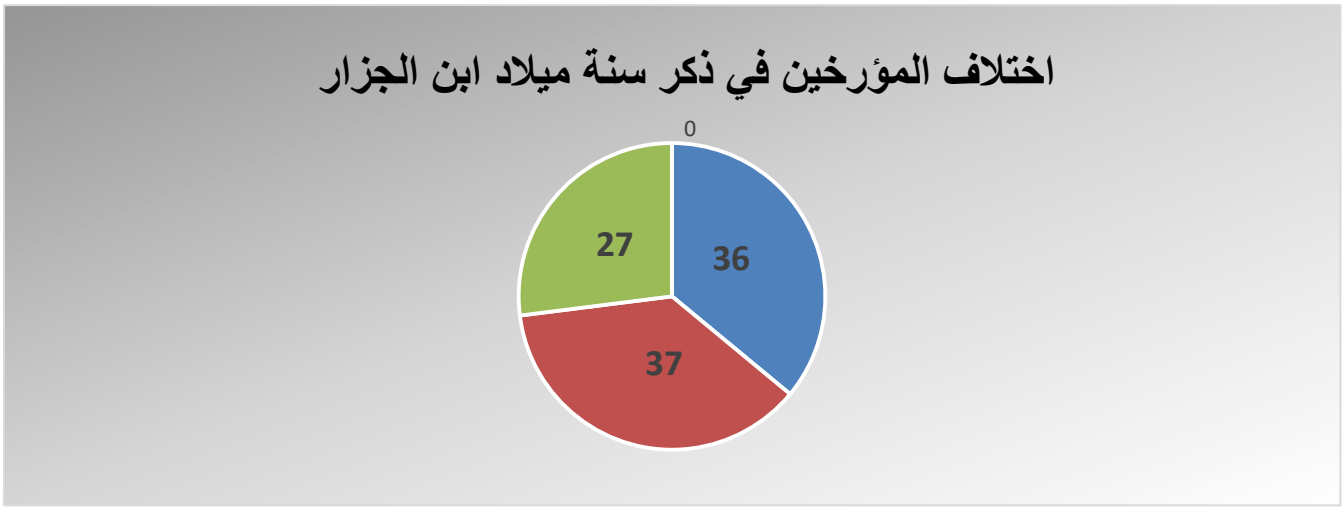

الشكل 1: دائرة نسبية توضح اختلاف المؤرخين في ذكر سنة الميلاد ابن الجزار

التعليق: يمثل هذا الرسم البياني الممثل في الدائرة النسبية آراء بعض المؤرخين الذين اختلفوا في تحديد سنة ميلاد ابن الجزار القيرواني.

- **النسبة الأولى36%:** ورد ذكرها عند صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي، والذي لم يقم بتحديد السنة بعينها، وإنما ذكر ما مفاده: بأن ابن الجزار كان موجودا أيام المعز في حدود سنة 350 هـ /961م أو ما يقاربها.

---

[1] Mohamed Bergaoui, Médecine de Tunisie : Tunisie, Carthage à nos jours, 2010, p : 39

[2] Lucien Leclerc, Histoire de la médecine arabe, 1876 : Paris : Leroux éditeur, p : 413.

[3] حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية الإسلامية بإفريقية التونسية، 1972: مكتبة المنار، تونس، ج1، ص: 240–244.

[4] أحمد الطويلي، تاريخ القيروان الثقافي والحضاري، تونس: الشركة التونسية للنشر، 2001، ص 99.

- **النسبة الثانية37%:** وقد وردت عند ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، والذي ذكر بان الجزار كان حيا سنة350 هـ /961م دون تحديد لسنة بعينها.
- **النسبة الثالثة27%:** وردت عند حسن حسني عبد الوهاب والذي ذكر صراحة السنة التي ولد بها ابن الجزار حيث حددها بسنة 258هـ /871م.

هذه الأمثلة عن اختلاف المؤرخين في تاريخ ميلاد ابن الجزار وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن أحمد ابن الجزار، لم يلق تلك العناية من كتب التراجم ولم يحظ بالترجمة كما حظي أقرانه من العلماء[1].

أما بالنسبة لوفاة ابن الجزار فهي نفس المشكلة السابقة في تحديد سنة الولادة، ولم تكن مضبوطة بسبب تضارب في تحديد تاريخ وفاته واختلاف المؤرخين فيها، مما أدى الى صعوبة التدقيق فيها.

[1] أحمد بوشريط، (ابن الجزار القيرواني وإسهاماته العلمية)، مجلة عصور جديدة، ع 23، صيف أوت 1437هـ /2016م، ص: 18.

الجدول 1: يوضح اختلاف المؤرخين في ذكر سنة الميلاد ابن الجزار ووفاته

المصدر	تاريخ الولادة	تاريخ الوفاة
ابن عذاري	—	369[1]
صاعد اندلسي	—	—[2]
ابن جلجل	—	يذكر انه عاش ثمانينا عاما [3]
ابن أبي أصيبعة	—	يذكر انه عاش نيفا وثمانين عاما[4]
ياقوت	—	338 هـ[5]
الصفدي	يذكر أنه كان موجودا أيام المعز في حدود350 هـ أو مقاربه[6]	—
حاجي خليفة	—	400 هـ مقتولا بالأندلس[7]
لوكلير	—	400 هـ
سارتون	—	400هـ
بروكلمان	—	395هـ
سزكين	—	369 هـ
حسن حسني عبد الوهاب	258 هـ	369 هـ

المصدر: ابن الجزار كتاب في المعدة وأمراضها ومداواتها. تحقيق سلمان قطاية- حلب 1979 ص14

[1] ابن عذاري المراكشي، كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح ومراجعة: ج. س كولان وليفي بروفنسال، بيروت: دار الثقافة، الجزء الأول، ص: 237.

[2] الأندلسي صاعد، طبقات الأمم، تحقيق: لويس شيخو، بيروت: الطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، 19/2، ص: 61.

[3] ابن جلجل أبو داود بن سليمان، طبقات الأطباء والحكماء، تح: فؤاد سيد، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2- 1905-1985، ص: 88.

[4] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق: نزار رضا، بيروت: دار مكتبة الحياة، 1965، ص: 481.

[5] ياقوت الحموي، معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1993، ج1، ص: 188.

[6] مرجع نفسه، ص: 188.

[7] حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د، ت، ن. مج2، ص 1126.

من خلال الجدول يمكن سبر آراء المؤرخين والباحثين في مسألة وفاة ابن الجزار والتعليق عليها عبر تمثيل بياني الموضح في الشكل التالي:

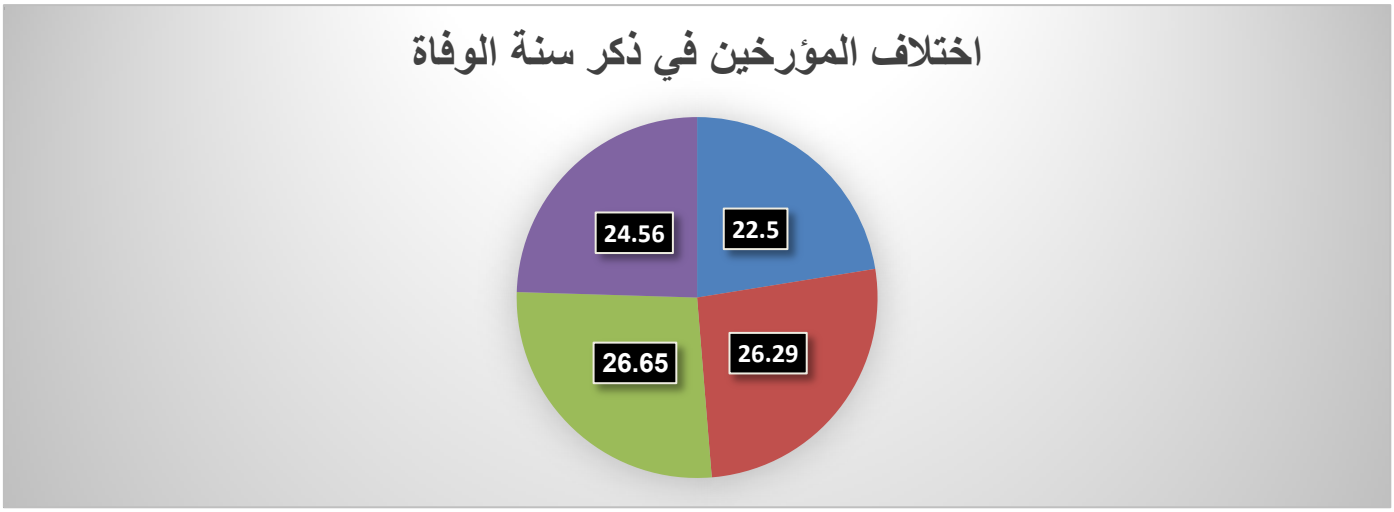

الشكل 2: دائرة نسبية توضح اختلاف المؤرخين في ذكر سنة وفاة ابن الجزار

التعليق من خلال هذا الرسم البياني الممثل في الدائرة النسبية يتضح ما يلي:

النسبة 24.56%: وتمثل كل من ابن عذاري المراكشي وفؤاد سزكين وحسن حسني عبد الوهاب، فكل هؤلاء حددوا سنة الوفاة بـ: 369هـ / 979م.

النسبة 26.65%: وتمثل كل من لوسيا نل وكلير وليون سارتون وحاجي خليفة، حيث حدد كل منهم سنة الوفاة بـ: 395هـ / 1005م.

النسبة22.5%: مثّله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، الذي حدد سنة 338هـ / 949م هي سنة الوفاة لابن الجزار القيرواني.

النسبة26.29%: وفيها حدد كارل بروكلمان سنة الوفاة بسنة 395هـ / 1004م[1].

هذا التوزيع النسبي يبرز عدم وجود إجماع تاريخي دقيق حول سنة وفاة ابن الجزار، مقابل تقارب نسبي بين رأيين رئيسيين يميلان إلى أواخر القرن الرابع الهجري.

[1] محمد بوشريط، المرجع السابق، ص:17

المطلب الثالث: محاولة التقريب في سنة ولادة ووفاة ابن الجزار

عند رؤية السنة التي توفي فيها محمد بن الحسين كشاجم[1]360 هـ / 970 م وهو من شعراء سيف الدولة الحمداني، وما قاله في مدح كتاب "زاد المسافر" الذي ألّفه ابن الجزار وهو في باب مدح الميت أي الرثاء وتعبير ألفاظ كشاجم واضحة ودلالة فيما يخص وفاة ابن الجزار هي كانت قبل قوله هذه الأبيات:

أبا جعفر أبقيت، حيّا وميتّا ... مفاخر في ظهر الزمان عظاما

رأيتُ على زاد المسافر عندنا ... من النّاظرين الغابرين زحاما

وأيقنت أن لو كان حياً لوقته ... يحنّا لما سمّى من التّمام تماما

سأحمد أفعالاً لأحمد لم تزل ... مواقفها عند الكرام كراما[2]

إن أبيات كشاجم تدل دلالة واضحة أن المتحدث عنه في حكم الماضي، وأن أبا جعفر توفي قبل تاريخ هذا القول وهي سابقة في الزمن لوفاة كشاجم سنة 360هـ / 970 م.

وينتج عما سبق تحوير أيضا في تاريخ ولادة ابن الجزار. فقد اعتمد حسن حسني عبد الوهاب للوفاة قول ابن عذاري أي سنة 369 هـ، مع العلم أن أبا جعفر عاش نيفا وثمانين سنة فكانت ولادته، في نظره، بعملية طرح بسيطة، حوالي285 هـ / 898 م. وتؤدينا العملية ذاتها بترجيح سنة 360 هـ للوفاة إلى الاقتراح لسنة ولادة ابن الجزار سنة في حدود 278 هـ/891م.

ملاحظة: ليس ما أسلفنا من محاولة التحديد لتاريخ ولادة ابن الجزار أو وفاته لعبة فكرية ومجرد عملية نظرية ونقاش اعتباطي، بل إنه قد يفيد في بعض الحالات تحديد الأسبقية التاريخية لمصنف من المصنفات أو اكتشاف من الاكتشافات[3].

---

[1] كشاجم: هو محمد بن الحسين بن السندي بن شاهك، المعروف بكشاجم (أبو الفتح، أبو النصر)، كان من شعراء أبي الهيجاء عبد الله، وسيف الدولة ابن حمدان، ثم ابنه سيف الدولة، انظر لابن الجزار كتاب في طب المشايخ وحفظ صحتهم تحقيق د. فاروق عمر العسلي، ود. الراضي الجازي، بيت الحكمة، 2009، ص: 29.

[2] بن ميلاد أحمد، الطب العربي التونسي في عشرة قرون، تونس، ط2- 1999م، ص: 60.

[3] ابن الجزار: زاد المسافر وقوت الحاضر، المصدر السابق، ص: 17

المبحث الثاني: النشأة والحياة الاجتماعية لابن الجزار

المطلب الأول: النشأة والبنية الأسرية

نشا ابن الجزار في عائلة اشتهرت بالطب يقول ابن أبي أصيبعة: "طبيب ابن طبيب وعمه أبو بكر طبيب "[1] فأخذ شتى العلوم الطبية وكذلك الصيدلة وبدا تعليمه ودراسته على والده إبراهيم الذي كان طبيبا كحالا أي متخصصا في طب العيون، وعمه أبي بكر محمد ثم أخذ عن أشهر أطباء القيروان آنذاك وهو إسحاق بن سلمان المعروف بالإسرائيلي الذي ترك مصر وذهب إلى القيروان. وهذا ما يبين المكانة العلمية بالقيروان والتي اشتهرت بالطب بين العامة والخاصة. فتخرج على يد الإسرائيلي واحد من أشهر أطباء الحضارة الإسلامية في الغرب الإسلامي وهو ابن الجزار القيرواني[2].

ومما يجدر بالذكر أن ابن الجزار من إنتاج المدرسة القيروانية الأصيلة فلم يفارق إفريقيا ولم يرتحل كطالب العلم إلى الشرق أو بقصد الحج ولم يرحل إلى الأندلس. بل إنه لم يفارق القيروان إلا مرات قليلة للمرابطة على بحر المنستير3،كما يجب الإشارة أن المصادر والمراجع لم تذكر شيئا عن ولادته ولا عن تربيته في عهد الطفولة[4].

وعندما اكتسب ابن الجزار المعرفة والملكة الكافية عمل بتشجيع من عمه وكذا إجازة من معلميه حسب ما كان متعارفا في ذلك الوقت، بمعالجة المرضى وتدريس الطب، وكان ابن الجزار من أهل الحفظ والتطلع والدراسة للطب وسائر العلوم وقضى عمره في الدرس والبحث

---

[1] محمد بن أبي خالد بن جزار: المكنى أبا بكر: توفي في النصف الأول من القرن الرابع الهجري 10م وهو عم أحمد المترجم له. أخذ عن أطباء بني الأغلب كان من بينهم: إسحاق بن عمران وعن تلميذه إسحاق الاسرائلي. وزياد بن خلفون. وغيرهم من أطباء بني الأغلب له عدة أدوية من اشربة ومعاجين وترياقات ذكر بعضها ابن أخيه "أحمد "في كتاب (طب المشائخ) ص (114و116). انظر ابن جلجل، المصدر السابق، ص: 90.

[2] رجاء العبدلي. (كتب الطب كمصدر للكتابة التاريخية "ابن الجزار القيرواني نموذجا)، "المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، ع10، 2018م، ص: 56.

[3] ابن الجزار، زاد المسافر وقوة الحاضر، المصدر السابق، ص: 87.

[4] رجاء العبدلي، المرجع السابق، ص: 55.

والتجارب والتعليم[1]،ويذكر ابن جلجل في كتاب "طبقات الأطباء والحكماء "ألفه سنة 364" أنه اتخذ سقيفة داره أقعد فيها غلاماً يسمى برشيق وأمدّه بجميع المعجونات والأشربة والمراهم والأشربة وسائر المستحضرات، فيمر المريض بهذا الغلام يوم زيارتهم للطبيب، حاملين منه إليه ورقة يصف فيها ما يناسبهم من الأدوية فيعطيهم الدواء المشار به ويقبض الثمن".

عُرف ابن الجزار بوقاره ورزانته وترفعه عن الملذات والشهوات، وقد شهد له بذلك من عاصروه في القيروان، فقد قال عنه ابن جلجل: "وكان قد أخذ بنفسه مأخذاً عجيباً في سمته وهديه وقعوده، ولم تحفظ عليه قيروان زلّة قط، ولا أُخذ إلى لذة، وكان يشهد الجنائز والعرائس ولا يأكل فيها"[2]، كان ابن الجزار شخصاً عزيز النفس متنزها، وذلك راجع إلى البيئة العلمية العائلية التي ولد وترعرع فيها، فقد كان يمضي جل وقته في القراءة والتأليف أو علاج المرضى وصنع الأدوية وتركيبها، وكان يذهب خلال فصل الصيف إلى رباط المنستير للراحة والاستجمام وربما للقاء بعض المتصوفة والزهاد[3].

كما لم يتقرب قط من الأمراء ولا رجال الدولة، ولا أخذ شيئاً من عطاياهم وهداياهم، وهو كما وصفه ياقوت الحموي في قوله: "وكان مع ذلك حسن المذهب فاضل السيرة، صائناً لنفسه منقبضا عن الملوك ذا ثروة، ولم يكن يقصد أحداً إلى بيته"[4].

باعتبار ابن الجزار كان ذا مكانة اجتماعية ميسورة الحال وينتمي إلى أسرة عريقة عرفت بتعاطيها للعلم وكانت ذات ثروة وجاه وحسب ونسب، فورث ابن الجزار كل هذا. [5]ومما يؤكد سخاء وكرم هذا العالم الجليل وزهده في الدنيا، وحسب ما ذكره ابن جلجل حين ترجم له، ذكر أنه قام بمعالجة أحد المرضى، فكتب له والد هذا المريض –وهو قاضي بلده– جواباً

[1] محسن حسني عبد الوهاب، كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين، مراجعة وإكمال: محمد العروسي المطوي، بشير البكوش، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1– 2005، مج2، القسم 1، ص: 488.

[2] ابن جلجل، المصدر السابق، ص: 89.

[3] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص: 481.

[4] الحموي ياقوت، المصدر السابق، ص: 188–187.

[5] المصدر نفسه ج 4، ص: 352.

يشكره فيه، مرفوقاً بكسوة وثلاثمائة مثقال،[1] فما كان على ابن الجزار سوى تقديم الشكر لوالد هذا المريض، ولم يقبض المال ولا الكسوة، فاستغرب فعله أحد الحاضرين وقال له: "يا أبا جعفر رزق ساقه الله إليك"، فكان جواب ابن الجزار: "والله لا كان لرجال معدّ قبلي نعمة.. [2]

لم تشر المصادر والتراجم بأن ابن الجزار كان متزوجا أو أنجب أولادا، وهو ما يشكل نقصا في المعطيات المتعلقة بحياته الشخصية. والأغلب أنه لم يفعل شأنه شأن كبار العلماء كابن سينا والرازي وابن النفيس وغيرهم، وربما بسبب كثرة مرضاه وانشغاله بالعلم والمداواة[3].

المبحث الثاني: شيوخه وتلاميذه

تجدر الإشارة أن المصادر لم تفدنا بكل شيوخه الذين أخذ عنهم علمه، على غرار ما قيل عنه أنه ينتمي إلى أسرة علمية، فأبوه كان طبيبا وعمه أبو بكر كان كذلك، وكان ممن لقيه ابن الجزار إسحاق بن سليمان وصحبه وأخذ عنه، وما قيل عن شيوخه، ينسحب على تلامذته الذين أخذوا عنه العلم.

شيوخه: ومن شيوخه الذين أخذ عنهم ابن الجزار علوم الطب والصيدلة حسب ما أفادت المصادر ثلاثة: أبوه وعمه وإسحاق بن سليمان الإسرائيلي، المكنى أبا يعقوب، شاع ذكره بالإسرائيلي (ت 320 / 932م)، من أهل مصر وبعدها سكن القيروان ولازم إسحاق بن عمران وأخذ عنه، كان في خدمة أبي محمد عبيد الله المهدي صاحب إفريقية. وكان مع براعته في صناعة الطب، بصيرا بالمنطق، متصرفا في عدة علوم، عاش فترة طويلة، ولم يتزوج قط، وهو القائل: "لي أربعة كتب يُحيى ذكري أكثر من الولد وهي كتاب الحميات، وكتاب الأغذية

[1] المثقال: هو ما يوزن به، وهو الثقل، وهو عبارة عن اثنين وسبعين شعيرة، أو عشرين قيراطاً، وكان المثقال عند أهل مكة في الجاهلية معروف الوزن إذا بلغ اثنين وعشرين قيراطاً، محمود الجليلي، المكاييل والأوزان والنقود العربية، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1 – 2005م، ص: 137 – 138.

[2] ابن أبي اصيبعة: المصدر السابق، ص: 481.

[3] ابن الجزار القيرواني، كتاب في المعدة وأمراضها ومداواتها، تح: سلمان قطاية، العراق: دار الرشيد للنشر، 1980، ص:23.

والأدوية، وكتاب البول، وكتاب الحدود والرسوم وكتاب بستان الحكيم، وفيه مسائل من العلم الإلهي، وكتاب في المنطق وكتاب في الحكمة وهو كتاب في الترياق.[1]

تلامذته: ذكرت المصادر والتراجم تلميذاً واحداً من بين الذين أخذوا عنه العلم. وهذا ما جادت به كتب التراجم فيما ورد عن تلاميذه وهو:

-**عمر بن حفص بن بريق:** وهو من التلاميذ الذين درسوا على يد ابن الجزار بالقيروان [2]كان طبيبا نبيلا قارئا للقرآن، مطرب الصوت، وكانت له رحلة إلى القيروان إلى أبي جعفر بن الجزار، لزمه ستة أشهر. وهو الذي أدخل إلى الأندلس كتاب " زاد المسافر " ونبل بالأندلس وخدم بالطب الناصر (300 – 350 هجري) ، ومن المظنون أنه هو الذي أفاد ابن جلجل بتراجم أطباء القيروان إسحاق بن عمران وإسحاق بن سليمان وأحمد بن الجزار[3].

المطلب الثالث: تنظيم العيادة والصيدلة عند ابن الجزار

اتّخذ ابن الجزار بيته في مدينة القيروان مكانًا لممارسة مهنة الطب والصيدلة، حيث يعتبر أول طبيب فصل بين الطب والصيدلة، وقد خصص غرف هذه الدار لمعالجة المرضى ووصف الدواء والعلاج لهم على النحو التالي:

1-غرفة المرضى: ينتظرون فيها دورهم ليستقبلهم الطبيب، وكانت هاته الغرفة "وقد غصت بالناس "حسب قول ابن جلجل" كل ينتظر موعده، لا فرق بين غني وفقير ومهما كانت المرتبة الاجتماعية أو السياسية له[4].

2-غرفة الطبيب: وفيها يفحص ابن الجزار المريض، وينظر في قارورة "الماء" – القصد هنا البول – ويتحاور مع العليل. وبعد تشخيص المرض، الناتج عن الفحص السريري، يحرر

[1] أحمد بوشريط، المرجع السابق ص: 21 -22.

[2] انخل بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي ص: 461، حسن حسني عبد الوهاب، كتاب العمر، مج 2، القسم الأول، ص: 742.

[3] أحمد بن ميلاد، المرجع السابق، ص: 79.

[4] ا بن جلجل، المصدر السابق، ص: 89.

ابن الجزار وصفة طبية بها الأدوية، المفردة والمركبة، مع أشكالها الصيدلانية وكيفية الاستعمال والجرعات اليومية، ومدة العلاج، إلى غير ذلك، ثم يأمر ابن الجزار المريض بالذهاب إلى "الصيدلية"[1].

3-غرفة "الصيدلية": هي "سقيفة" – حسب تعبير ابن أبي أصيبعة [2]– تقع بجانب باب الخروج من الدار، أقعد بها "غلاماً يسمى رشيق" وهو بمثابة المساعد الصيدلي، وأعد ابن الجزار بين يدي رشيق جميع أصناف الأدوية، المفردة والمركبة وغيرها[3].

المطلب الرابع: مذهب ابن الجزار

هناك اختلاف في مذهب ابن الجزار ما بين من يقول انه كان يميل للتشيع وهناك من يقول انه على المذهب السني المالكي، وهو ما يظهر جلياً من خلال مطالعتنا في المصادر والمراجع ومن مصادر التي ذكرت تشيع ابن الجزار ككتاب "رياض النفوس" ما مفاده: "كان ابن الجزار الطبيب على خلاف السنة" [4].

وهو ما ذكره حسن حسني عبد الوهاب حين قال: "وربما كان ميله هذا للآراء الشيعة هو السبب الذي جعل أصحاب الطبقات من الأفارقة المالكيين على التغافل عن ترجمته في مصنفاتهم، لأننا لم نرَ من تكلم عنه لا بالكثير ولا بالقليل[5].

بينما استُدل لمن قالوا إنه على المذهب السني بقول ياقوت: "كان أحمد حسن المذهب بأصل السيرة، صائناً لنفسه منقبضاً عن الملوك"، ويقول ابن أبي أصيبعة، نقلاً عن ابن جلجل تلميذ ابن الجزار: "لا يتقرب إلى أولي الأمر ولا يركب قط إلى أحد من رجال إفريقية ولا إلى سلطانهم"، وإن دلّت فعلى استقلال ابن الجزار وتحاشيه الانتماء الى آل عبيد، فحين يذكرهم

[1] ابن الجزار، كتاب في طب المشايخ وحفظ صحتهم، المصدر السابق، ص: 27.

[2] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص: 481

[3] ابن جلجل، المصدر السابق، ص 89.

[4] عبد الله بن محمد المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، حققه: بشير البكوش، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2 – 1414هـ / 1994م، ج 2، ص 430.

[5] حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، تونس: مكتبة المنار، 1972، ج 1، ص 309.

يكنيهم برجال معدّ وأما ما ذكره من تأليفه لكتاب [أخبار الدولة] فهل يكفي ذلك لإثبات ولائه لبني عبيد؟ وهل كانت له صفة المؤرخ الرسمي للدولة؟ ولا ننسى ما نص عليه ياقوت بقوله إنما ضم ابن الجزار إلى معجمه بموجب تأليفه هذا الكتاب التاريخ ولا ننسى أنه عاصر أبا العرب محمد بن أحمد بن تميم "رافع لواء التاريخ بإفريقية مع تقدمه في علم الأثر وبصره بالفقه ومعاني الحديث..." وألف طبقات علماء إفريقية وكتاب عباد إفريقية، وكتاب سند حديث مالك وكتاب التاريخ سبعة عشر جزءاً[1].

لو كان في أخبار ابن الجزار ما يشتم منه التشيع فما كان المالكي وغيرهم من الفقهاء لينقلوا عنه، وهناك ملاحظة أخرى وهي أن ابن الجزار إذا أهدى كتاباً من كتبه –كما جرت العادة– إلى بعض أولي الأمر قد بقي إهداؤه مقتضباً واكتفى بالعبارة العامة، دون إشارة إلى مكانة المهدى إليه في السلطة أو إطراء وتملق أو صريح ولاء.

وأما عن إهمال أصحاب التراجم والطبقات لشخصية ابن الجزار وضياع العديد من كتبه، فالأمر لا يستغرب، فهم في معظمهم لم يهتموا بالذات إلا بالفقهاء وعلوم الدين بصفة عامة من محدثين ومفسرين للقرآن، وعلماء اللغة من طبقات النحويين وحكماء المناطقة (مما يعين على تدقيق معاني الأصول الدينية وفصولها) وعنوا أيضاً بالشعراء والأدباء بصفة عامة، على أنهم لم يتركوا ذكر جماعة تواترت عنهم الأخبار بالصفات الجليلة والأفعال الجميلة وذكروا من دونهم في الشهرة أو مثلهم أو قريباً منهم.

ويرجع الأستاذ العروسي المطوي ذلك إلى عوامل تاريخية اجتماعية منها عدم استقرار العاصمة التونسية ونقلها من القيروان إلى المهدية، ثم إلى تونس الأمر الذي أفقد تواصل السند العلمي والتوارث الثقافي بين الأسر والمدارس، ومنها خراب القيروان وهجرة علمائها إثر زحف "بني هلال"[2].

[1] ابن الجزار، زاد المسافر وقوت الحاضر، المصدر السابق، ص: 18–19.

[2] ابن الجزار، زاد المسافر وقوت الحاضر، المصدر السابق، ص: 20– 21.

"من الحوادث العظيمة التي وقعت لابن الجزار مع أحد الخلفاء الفاطميين والتي كادت أن تودي بحياته الى الموت في أيامه الأولى لممارسته مهنة الطب حيث يذكر المقريزي وابن الأثير إصابة الخليفة المنصور بمرض عضال بسبب البرد الشديد الذي تعرض له في أحد أسفاره، فأراد دخول الحمام فنهاه طبيبه إسحاق بن سليمان الإسرائيلي أستاذ ابن الجزار القيرواني عن ذلك فلم يقبل ودخل الحمام، ففنت الحرارة الغريزية منه ولازمه السهر فأخذ طبيبه يعالج المرض دون السهر فاشتد ذلك على المنصور وقال لبعض خواصه... "أما في القيروان غير إسحاق"، فأحضر إليه شاباً من الأطباء وهو أبو جعفر أحمد بن أبي خالد بن الجزار جمع له أشياء مخدرة وكلفه شربها. فنام وخرج وهو مسرور بما فعله، فجاء إسحاق ليدخل على المنصور فقيل له إنه نائم، إن كان صنع له شيء ينام فقد مات، فدخلوا عليه فإذا هو ميت فأرادوا قتل ابن الجزار فقام معه إسحاق وقال لا ذنب له إنما داواه بما ذكر الأطباء، غير أنه جعل أصل المرض، وما عرفتموه، وذلك أنني في معالجته أقصد تقوية الحرارة الغريزية، وبها يكون النوم، فلما عولج بما يطفئها علمت أنه قد مات"[1].

ويفند الدكتور سلمان قطابة هاته الحادثة بقوله: واعتقد تقريباً كأن القصة كلها مختلقة، فلم يدعوا ابن الجزار، ولم يتكلم الإسرائيلي، وإنما اختلقت هذه الحكاية فيما بعد من قبل زملاء ابن الجزار الذين أزعجتهم شهرته، وعلو شأنه وعدد المرضى الكبير الذين كانوا يقصدونه حتى أصبح غنيا مشهوراً[2].

[1] أبو حسن علي بن أبي الكرم محمد ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1-1987، ص:242.
، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الخلفاء، تح: جمال الدين شيال، ط1، د د ن، القاهرة 1948، ج1، ص 90 - 91.

[2] ابن الجزار، المعدة وأمراضها، المصدر السابق ص: 17.

المبحث الثالث: جهوده العلمية ومؤلفاته

المطلب الأول: جهوده العلمية

يُعد ابن الجزار القيرواني من خلال المصادر التي تناولت حياته، شخصية علمية متميزة كان لها أثر واسع وعطاء علمي متنوع، ولم يقتصر فقهه على مجال الطب بل امتد إلى ميادين أخرى كالتاريخ والجغرافيا والأدب والفلسفة وغيرها من العلوم التي برع فيها[1]، والتي سنذكرها على النحو الآتي :

1- **في مجال التاريخ والجغرافيا:** مؤلفاته فيه قليلة ومعظمها مفقود[2] نذكر على سبيل المثال أهمها:

أ- **كتاب أخبار الدولة (تاريخ الدولة):** ويعرف كذلك بالتعريف في أخبار إفريقية، وهو خاص بالدولة العبيدية وظهور المهدي وانتشار الدعوة العبيدية، ويندرج هذا التأليف في إطار التاريخ المحلي أو تاريخ الدول[3]. وقد اعتمد هذا الكتاب من بعده القاضي عياض في كتابه ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك كما اعتمده ياقوت الحموي في معجم البلدان وابن حيان في كتابه "المقتبس"[4] .

ب- **التعريف بصحيح التاريخ:** وهو تاريخ مختصر يشتمل على وفيات من سبقه من علماء زمانه وبعض أخبارهم، وقد عمل بهذا النظام من أتى بعده من المؤرخين كابن عذاري

---

[1] جهيدة بوجمعة، أثر ابن الجزار القيرواني في تطوير ممارسة الطب في شمال إفريقيا وأوروبا، مجلة عصور، مج 04، ع 04، أوت 2005 ص 120.

[2] تعزى أسباب فقدان هذه الكتب إلى ارتباطها بالدولة العبيدية التي زفت بلاد المغرب بانتقال هؤلاء الى مصر. علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر ديوان والغرب الإسلامي، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2008م، ص:155.

[3] بخدة طاهر، ابن الجزار الطبيب المؤرخ، العصور الجديدة، ع 24 – 25، 2016، ص:100.

[4] أ.م.د.سادسة حلاوي ، المرجع السابق ، ص 29

وغيره، كما نقل عنه الكثير من المؤلفين وبالخصوص أصحاب الطبقات والتراجم،[1] كالقاضي عياض في "المدارك" وياقوت في حوادث سنة 208هـ- (معجم البلدان ج2 ص61) وغيرهما- ولا أثر اليوم لهذا الكتاب[2]

ج- **مغازي إفريقية:** تناول فيه غزوات أو حملات فتح إفريقية والأندلس، ويعد هو الآخر من الكتب المفقودة[3].

د- **عجائب البلدان:** ذكره صاحب كتاب تاريخ الأندلس بعنوان عجائب الدنيا، حيث نقل عنه تعريفه بمدينة قرطبة حينما يقول: "قال ابن الجزار في كتابه عجائب الدنيا..."[4].

2- في المجال الأدبي: فإنه خلف كتابا لا يزال مفقودا أسماه "المكلل في الأدب" انفرد برصده صاحب "عيون الأنباء..."5.

3- في المجال الفلسفي: فقد أورد له رسالتين هما في عداد المفقود من التراث "رسالة في النفس وفي ذكر اختلاف الأوائل فيها"[6]. وكتاب "الفصول في سائر العلوم والبلاغات"[7].

4- في المجال الديني: رغم الاهتمام الطبي لابن الجزار إلا أنه انشغل وألف في الدين ، إذ أورد كل من الصفدي وابن أصيبعة كتابين له في ذلك هما "نصائح الأبرار" ورسالة إلى بعض إخوانه في" الاستهانة بالموت"[8].

---

[1] بخدة طاهر، المرجع نفسه، ص: 101.

[2] حسن الحسني، ورقات عن الحضارة العربية الإسلامية بإفريقية التونسية، المرجع السابق، ص: 318.

[2] محمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ الغرب من الفتح الإسلامي إلى العصر الحديث، المغرب: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1983، ج 1، ص: 18.

[4] مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، تح: عبد القادر بوباية، بيروت: دار الكتب العلمية، 2007، ص: 73.

[5] كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تر: يعقوب بكر ورمضان عبد التواب، القاهرة: دار المعارف، ط2-د. ت، ج3، ص: 61.

[6] صاعد الأندلسي، المصدر السابق، ص: 82.

[7] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص: 482.

[8] المصدر نفسه، ص: 482.

5- في مجال الطبيعيات: حسب ما قاله حسن الحسني عبد الوهاب أن التيفاشي القفصي ذكره مرات عديدة في كتابه " أزهار الأفكار في جواهر الأحجار"، ومن جملة ما نقل عنه العبارة التالية: "قال أحمد بن خالد المعروف بابن الجزار في كتابه الأحجار: "وعالجت أنا وصيف الخادم (الفاطمي) صاحب المظلمة من حصاة عظيمة كانت به وامتنع من الفتح عليها بالحديد، فلما فعلت به هذا الفعل، يعني إدخال مرود من فضة أُلصق برأسه حجر الماس في مجرى البول تشلّخت الحصاة حتى صغرت وسهل عليه خروج ما بقي منها من البول"[1] .

المطلب الثاني: مؤلفاته الطبية

يعد ابن الجزار من أبرز الأطباء الذين ازدهر على أيديهم علم الطب في القيروان ويتضح ذلك من خلال كثرة مؤلفاته العلمية وأهمها تتعلق بالطب، حيث ذكر ابن أبي أصيبعة سوى 27 مؤلفاً وأضاف حسن حسني عبد الوهاب 10 كتب، وأما الدكتور الحبيب الهيلة فقد ذكر 44 عنواناً في تحقيقه لكتاب "سياسة الصبيان وتدبيرهم" [2]، وأغلب مؤلفات ابن الجزار هي في الطب والصيدلة وسنتناول أهم هذه الكتب:

1- المؤلفات الموجودة:

أ- **كتاب زاد المسافر وقوت الحاضر:** من أشهر أعمال ابن الجزار ألفه ليكون كتاباً ملازماً للمسافر يستعمله في حالة إصابته بمرض خلال السفر وعدم وجود طبيب[3] حيث أشار ابن الجزار إلى هذا في مؤلفه بقوله "... وليكون تذكرة للعالم الحاضر وزاداً للمسافر إلى البلدان البعيدة التي لا يوجد بها طب"[4]وهذا يعني أن كتاب زاد المسافر من الكتب الطبية التي انتشرت انتشرت خارج بلاد المغرب، فقد وصل إلى الأندلس عن طريق ابن بريق تلميذ ابن الجزار[5]،

[1] حسن الحسني، ورقات عن الحضارة العربية الإسلامية بإفريقية التونسية، المرجع السابق، ص: 320.

[2] ابن الجزار، كتاب في طب المشائخ وحفظ صحتهم، المصدر السابق، ص: 31.

[3] ابن الجزار القيرواني، المعدة وأمراضها ومداواتها، ص: 33.

[4] التليسي بشير رمضان، الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، بيروت: بيروت: دار المدار الإسلامي، ط1- 2003م، ص504.

[5] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 490.

ويتكون من سبعة مقالات كلها على أبواب كثيرة وهو كتاب في علاج الأمراض يقع في مجلدين [1]، وسبع مقالات أربعة في المجلد الأول وثلاثة في الجزء الثاني ويشمل الأمراض من الرأس إلى القدم[2].

-ذكره الزركلي وقال: إن نسخاً منه موجودة في مكتبة الشعب بباريس ودرسدن بألمانيا، ورنبور بالهند وخزانة الرباط ترجم إلى اللغة اللاتينية واليونانية والإيطالية ومن هذه الترجمات مخطوطات أقدمها موجودة بالفاتيكان[3].

ب- **طب الفقراء والمساكين:** وهو مصنف طبي يحتوي على سبعين بابا في نسخة الاسكوريال وباريس وثمانين بابا في نسخة جامعة كامبردج، يقدم فيه ابن الجزار الأدوية اللازمة وطرق تحضيرها واستعمالها، بالنسبة للأمراض التي تصيب جسم الإنسان بالترتيب، بداية بأمراض الرأس ثم أمراض الأجهزة الداخلية وصولاً إلى أمراض القدمين[4].

وما تطرق إليه ابن الجزار في هذا الكتاب يخص علاج أمراض الرأس وعلاج أوجاع الصدر، وعلاج أمراض الجهاز الهضمي وأمراض الجهاز البولي، وأمراض الرحم والولادة، وأمراض الجلد وعن ذلك يقول مؤلفنا: "وسمينا هذا الكتاب بطب الفقراء ورتبته على ثمانين باباً" [5]. وقد وضع هذا الكتاب في صورة مختصرة وخلاصة خبرته وتجاربه في "علاج العلل بالأدوية" التي هي أيسر كلفة وأخف مؤونة ويسهل وجودها؛ لينفع عامة الناس ولا سيما أهل الفقر والمسكنة[6].

والمسكنة[6].

---

[1] محمد بوشريط، المرجع السابق، ص: 24.

[2] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص: 443.

[3] الزركلي خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين والمستشرقين، بيروت: دار العلم للملايين، ط15- 2002م، ج3، ص: 135.

[4] ابن الجزار القيرواني، طب الفقراء والمساكين، تح كاضم آل طعمة، طهران: معهد الدراسات الإسلامية، ط1: 1996، ص: 26 - 27.

[5] نوال بالمداني، عرض كتاب من التراث الطبي بالمغرب الإسلامي، طب الفقراء والمساكين لابن الجزار القيرواني، عصور جديدة، عدد 23، أوت 2016، ص:62.

[6] ابن الجزار القيرواني، طب الفقراء والمساكين، تح: الراضي الجازي وفاروق عسلي، المجمع التونسي، تونس: بيت الحكمة، 2009، ص: 76.

د- **الاعتماد في الأدوية المفردة:** ألفه ابن الجزار لأحد الملوك الفاطميين بإفريقيا وهو الخليفة القائم بأمر الله ثاني ملوك بني عبيد ويتألف هذا المؤلف من مئة وأربعين ورقة [1]، وقد عرف شهرة كبيرة لدى الغرب حيث ترجم إلى اللاتينية واليونانية والعبرية [2] والمطالع لهذا الكتاب يرى التأثير الطبي اليوناني والروماني والطب العربي من الشرق إلى الغرب، وقد بلغت الأدوية التي ذكرها ابن الجزار في كتابه 278 دواءً من بينها في الدرجة الأولى 219 دواءً نباتياً وتتوزع الأدوية الباقية في معظمها بين معدنية وحيوانية. [3]

هـ- سياسة الصبيان وتدبيرهم: هو كتاب مفيد ويُبين ابن الجزار دوافع تأليفه في مقدمته التي استهلها بالبسملة والصلاة على النبي الكريم ويقول "إن معرفة سياسة الصبيان وتدبيرهم باب عظيم الخطر، جليل القدر، ولم أرَ لأحد من الأوائل المتقدمين المبرزين في ذلك كتاباً كاملاً شافياً، بل رأيت ما يُحتاج من علمه ومعرفته من ذلك متفرقاً في كتب شتى وأماكن مختلفة..."[4].

يتناول الكتاب الرضيع وأوصافه، غذاءه، اللبن وأوصافه، المرضعة وغذاءها وأمراض الصبيان: الرأس والمعدة والأمعاء والشعرة والديدان [5]وقُسم الكتاب إلى اثنين وعشرين باباً. [6]وقد [6]وقد اعتمد ابن الجزار في كتابه هذا على عدد من كتب الأطباء والإغريق وغيرهم، ومن بينهم بينهم أبقراط وجالينوس ويحيى بن ماسويه وغيرهم من مشاهير الأطباء، وقد أسهم ابن الجزار في كتابه هذا كطبيب من جهة وكمربٍ من جهة ثانية[7].

---

[1] عبيدلي، المرجع السابق، ص: 68

[2] قادة دين، ابن الجزار القيرواني ومصنفه "في الطب المعدة"، عصور جديدة، عدد 02، أوت 2023، ص: 177.

[3] رجاء عبدلي، المرجع سابق، ص: 69.

[4] ابن الجزار، سياسة الصبيان وتدبيرهم، تح: محمد الحبيب الهيلة، تونس: بيت الحكمة، تونس، 1986، ص: 57.

[5] رجاء عبدلي، المرجع السابق، ص: 62.

[6] ابن الجزار زاد المسافر وقوت الحاضر، المصدر السابق، ص: 61.

[7] التليسي بشير رمضان، المرجع السابق، ص: 503.

و- كتاب طب المشايخ وحفظ صحتهم:

هذا التأليف لم تذكره المصادر القديمة، ويقع في نسخة فريدة ليس لها نظير في مكتبات العالم، ومنها صورة بدار الكتب المصرية تحت رقم 5636 طب، [1]يتطرق الكتاب إلى حفظ صحة المشايخ، فيصف لهم أدوية جربها وحمدها، ثم يقدم لهم نصائح اتفق عليها الأطباء القدامى، ويحتوي على ثلاثة أقسام منفصلة:

القسم الأول: يتعلق بعلاج المشايخ الذين تجاوز سنهم الستين سنة.

القسم الثاني: يتكلم المؤلف على عدة وجوه على حفظ الصحة وطول معدة.

القسم الثالث: في الترياقات [2].

ز- كتاب في المعدة وأمراضها ومداواتها: توجد في العالم نسختان قديمتان لهذا الكتاب؛ الأولى في المكتبة الظاهرية بدمشق، والثانية في مكتبة دير الإسكوريال بإسبانيا ضمن مجموعة تحت الرقم 82، وينقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام:

الأول: مكرس لتشريح المعدة ووظيفتها.

الثاني: مكرس للأمراض الناجمة عن اضطراب الوظيفة الهضمية.

الثالث: للأمراض الخاصة كالأورام وغيرها [3].

ح- كتاب إبدال العقاقير: توجد إحدى نسخه محفوظة في الإسكوريال تحت الرقم 05/896، ويظهر العنوان مختلفا أحياناً، إلا أن المعنى واحد ما عدا الاسم الذي أعطاه د. كمال السامرائي "إعداد العقاقير" ويبدو أن هذا الكتاب كان المصدر لكتاب الملك اليماني المظفر يوسف بن عمر وهو المعتمد في الأدوية والأغذية [4].

---

[1] ابن الجزار القيرواني، كتاب في طب المشايخ وحفظ صحتهم، المصدر السابق، ص: 3. (المقدمة)

[2] المصدر نفسه، ص: 12-13.

[3] ابن الجزار، المعدة وأمراضها ومداواتها، المصدر السابق، ص: 57-59.

[4] ابن الجزار، طب الفقراء، المصدر السابق، ص: 17.

ط- كتاب العطورات في أصناف الطيب وذكر فوائدها:

يوجد منه نسخة بالمكتبة السليمانية بإسطنبول رقم 1484، ونسخة أخرى في مخطوط طب الفقراء 1126، وأخرى ملحقات لكتاب طب الفقراء بباريس رقم 2838. ويعالج هذا الكتاب أصناف العطورات المتعددة والمستعملة حسب السن والموضع، ثم يذكر ابن الجزار المواد التي تصنع منها هذه العطورات وتركيباتها [1].

ي- رسالة في النسيان وعلاجه:

وهي موجودة ضمن مجموعة الفصوص القصيرة حول مواضيع طبية وفلسفية توجد بمكتبة أكاديمية العلوم بالبرتغال[2].

ك- رسالة في الحمى:

وتوجد منها نسخة وحيدة ضمن مجموعة طبية مخطوطة بالمكتبة البودلية في أكسفورد تحت رقم 579[3].

ل- رسالة في إبدال الأدوية:

وهي مبتورة ولا توجد منها سوى بعض الصفحات، ويهدف هذا التأليف إلى ذكر أبدال الأدوية المفقودة في السوق[4].

2-الكتب المفقودة:

لم يتمكن الباحثون إلى يومنا هذا من حصر قائمة هذه الكتب المفقودة من مؤلفات ابن الجزار، وهي تتعلق بميادين علمية شتى وتمثل موسوعة كاملة، وسوف نذكرها كما وردت في كتاب ابن أبي أصيبعة[1]:

---

[1] رجاء عبدلي، المرجع السابق، ص: 70.

[2] ابن الجزار، طب المشايخ، المصدر السابق، ص: 32.

[3] خلوط أسماء، (ابن الجزار القيرواني أول طبيب مسلم)، مجلة العصور، مج 22، ع02 أوت 2023، ص: 230.

[4] ابن الجزار، طب المشايخ، المصدر نفسه، ص 34.

أ- **البغية:** وهو حسب ابن أبي اصيبعة كتاب في الأدوية المركبة[2].

ب-**كتاب العدة في طول المدة:** يقول ابن أبي أصيبعة "وهو أكبر كتاب وجدناه له في الطب"[3].

ج- **كتاب قوت المقيم:** ذكر ابن أبي أصيبعة أنه في عشرين مجلداً[4].

د- **رسالة في النفس وذكر اختلاف الأوائل فيها**[5].

ه- **كتاب في الفرق بين العلل التي تشتبه أسبابها وتختلف أعراضها:** كان في حكم المفقود، حقق هذا الكتاب سلمان قطابة، وقسمه إلى 5 مقالات:

و- **المقالة الأولى:** أمراض الرأس (تحتوي على 5 فصول).

ز- **المقالة الثانية:** أمراض آلات التنفس (تحتوي على 3 فصول).

ح- **المقالة الثالثة:** أمراض المعدة والكبد والطحال والكلى والمثانة وآلات التناسل (أربعة فصول).

ط- **المقالة الرابعة:** أمراض البدن كله (ثلاثة فصول).

ي- **المقالة الخامسة:** النبض البول (فصلين)[6].

ك- **رسالة في التحذر من إخراج الدم من غير حاجة دعت إلى إخراجه**[7].

ل- **رسالة في زكام وأسبابه وعلاجه.**

م- **رسالة في النوم واليقظة**[8].

ن- **كتاب "مجربات في الطب" وهو في طب الأعشاب**[9].

---

[1] المصدر نفسه، ص 61.

[2] خلوط أسماء، المرجع السابق، ص: 230.

[3] الاندلسي، المصدر السابق، ص: 82.

[4] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ج 3، ص: 61

[5] لزركلي، الأعلام، المصدر السابق، ج 1، ص: 85.

[6] ابن الجزار، الفرق بين العلل، تح: عمر الشاذلي، تونس: بيت الحكمة، 2008، ص: 10 (مقدمة تحقيق).

[7] ابن الجزار، طب المشايخ، المصدر السابق، ص 35.

[8] الصفدي، المصدر السابق، ج 6، ص 132.

[9] سادسة حلاوي، المرجع السابق، ص 29.

س- مقالة في الجذام وأسبابه وعلاجه.

ع- رسالة في المعدة وأوجاعها.

ف-مقالة في الحمامات منافعها ومضارها (مفقود) [1].

ص- كتاب الخواص.

ق-كتاب نصائح الأبرار.

ر- كتاب المختصرات.

ش- كتاب "البلغة في حفظ الصحة[2].

ت-كتاب في الحمامات[3].

ث-كتاب في نعت الأسباب المولدة للوباء في مصر وطريق الحيلة في دفع ذلك وعلاج ما يحدث منه [4].

خ-رسالة ألفها لبعض إخوانه في الاستعانة بالموت[5].

ذ- كتاب السمائم وهو كتاب أدرج ابن الجزار فيه الأدوية السمية وأنواع السموم (رسالة في أسباب الوفاة) [6].

ض- رسالة في أسباب الوفاة[7].

غ-كتاب جلاء الألباب ذكره ابن الجزار في رسالته في النسيان وعلاجه وقال "كتابنا في المالنخوليا المسمى بكتاب "جلاء الألباب"[8].

---

[1] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ص 482.

[2] المصدر نفسه، ص: 482.

[3] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص: 482.

[4] التليسي، المرجع السابق ص: 508.

[5] الصفدي، المصدر السابق، ج1، ص: 187.

[6] زيتون محمد، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار، القاهرة، ط1- 1988، ص: 400.

[7] رجاء عبدلي، المرجع السابق، ص: 70.

[8] ابن الجزار، طب المشائخ، المصدر السابق، ص: 36-37.

نكتفي بالقائمة للمؤلفات الموجودة والكتب المفقودة حسب ما ذكرته المصادر والمراجع مع أمل أن يتم تحقيق ودراسة هذه المؤلفات والتفتيش عن ما تبقى من ما هو مفقود وذلك لاستكمال دراسة أعمال أحمد ابن الجزار.

خاتمة الفصل :

ناولنا في هذا الفصل السيرة الذاتية والعلمية لابن الجزار القيرواني، حيث تطرقنا إلى مولده ونسبه، مع إبراز اختلاف المؤرخين حول تحديد تاريخ ميلاده ووفاته ومحاولة تقريب ذلك اعتمادًا على الروايات التاريخية المتوفرة، كما تم التعرف على نشأته وبيئته الأسرية والعلمية التي أسهمت في تكوين شخصيته العلمية، إضافة إلى شيوخه وتلاميذه ودوره في تنظيم العيادة والصيدلة، فضلًا عن مذهبه الفقهي.

وقد أبرز هذا الفصل كذلك الجهود العلمية الكبيرة التي بذلها ابن الجزار في مجال الطب، من خلال مؤلفاته المتعددة التي عكست مكانته العلمية الرفيعة وأسهمت في انتشار اسمه داخل بلاد المغرب الإسلامي وخارجها، وهو ما مهّد لاكتسابه مكانة اجتماعية معتبرة داخل مجتمعه، الأمر الذي سيتم التوسع في دراسته في الفصل الموالي.

الفصل الثاني: البعد الاجتماعي لمكانة ابن الجزار ودلالتها

الفصل الثاني:

البعد الاجتماعي لمكانة ابن الجزار ودلالتها

المبحث الأول: علاقة ابن الجزار بالسلطة في عصره.

المبحث الثاني: مكانة ابن الجزار لدى العامة.

المطلب الأول: شهرة العائلة

المطلب الثاني: الصفات والأخلاق

المطلب الثالث: شهرة أحمد ابن الجزاركطبيب

المبحث الثالث: مكانة ابن الجزار بين العلماء وطلبة العلم:

المطلب الأول: مكانته بين العلماء

المطلب الثاني: مكانة ابن الجزار بين طلبه العلم

المبحث الرابع: الطب ودوره الاجتماعي عند ابن الجزار:

المبحث الخامس: أثر ابن الجزار:

المطلب الأول: أثر ابن الجزار في شمال إفريقيا.

المطلب الأول: تأثير ابن الجزار على المشرق.

المطلب الثالث: تأثير ابن الجزار على الأندلس وأوروبا.

حظي ابن الجزار القيرواني بمكانة اجتماعية وعلمية مرموقة في مجتمع الغرب الإسلامي، وذلك بفضل إسهاماته العلمية والطبية وما عُرف به من أخلاق وصفات جعلته محل تقدير من قبل السلطة والعامة والعلماء وطلبة العلم، ولم تكن هذه المكانة وليدة نشاطه الطبي فقط، بل جاءت نتيجة تأثيره الواسع في الحياة الاجتماعية والعلمية خلال عصره.

ومن هذا المنطلق، يسعى هذا الفصل إلى إبراز البعد الاجتماعي لمكانة ابن الجزار ودلالاتها، من خلال دراسة علاقته بالسلطة الحاكمة، ومكانته لدى العامة وما ارتبط بها من شهرة عائلية وصفات أخلاقية، إضافة إلى بيان منزلته بين العلماء وطلبة العلم. كما يتناول الدور الاجتماعي للطب عند ابن الجزار، وأثره العلمي الذي تجاوز حدود القيروان وشمال إفريقيا ليصل إلى المشرق والأندلس وأوروبا، مما يعكس القيمة الحضارية والعلمية التي اكتسبها داخل العالم الإسلامي وخارجه.

المبحث الأول: علاقة ابن الجزار بالسلطة في عصره

قد كان ابن الجزار معاصرا لأربعة حكام من الدولة الفاطمية، عبيد الله المهدي، القائم بأمر الله، المنصور العبيدي، المعز لدين الله[1] وكانت علاقته بالسلطة السياسية من خلال ما ذكرت المصادر والتراجم تتسم بالتحفظ والاستقلال النسبي وهذا ما ذكره ابن جلجل في قوله: «ولم يركب إلى أحد من رجال افريقية، ولا إلى سلطانها»[2].

لم يكن ابن الجزار يتردد على بيت أحد من رجال الدولة ولا حتى الملك، لكنه كان يذهب فقط كل يوم جمعة لزيارة أبي طالب بن عبيد الله المهدي الذي تربطه به صداقة قديمة[3]، وإن يدل ذلك على شيء فعلى استقلال ابن الجزار وعزة نفسه. فلا يأخذ لأهل الدولة صلة ولا يركب إليهم مهنئا ولا مغريا ويلخص ياقوت الحموي هذا بقوله: "كان صائنا لنفسه منقبضا عن الملوك ذا ثروة ولم يكن يقصد أحد إلى بيته" [4].

وقد يكون ذلك إلى أن ابن الجزار كان في غنى عن مثل هؤلاء فلم يكن محتاجا الى مساعدتهم وبخاصة من الناحية المادية باعتبار ابن الجزار كان ذا مكانة اجتماعية ميسورة الحال، كما ينتمي إلى أسرة عرفت بتعاطيها للعلم، وكانت هذه الأخيرة ذات ثروة وجاه وحسب ونسب فورث الابن كل هذا [5].

---

[1] سرق مريم، شويط سهام، علم الطب في المغرب الإسلامي خلال القرن 4 هجري (ابن الجزار القيرواني نموذجا)، (مذكرة نهاية الدراسة للتخرج برتبة أستاذ التعليم المتوسط، قسم التاريخ والجغرافيا)، المدرسة العليا للأساتذة طالب عبد الرحمان بالأغواط، 2022/ 2023، ص: 32.

[2] ابن جلجل، المصدر السابق، ص:89.

[3] ابن الجزار، طب الفقراء والمساكين المصدر السابق، ص:12.

[4] ابن الجزار، زاد المسافر وقوة الحاضر، المصدر السابق، ص09.

[5] محمد بوشريط، المرجع السابق، ص:20-19.

ويروي ابن أبي اصيبعة ويؤكد هذا المعني حيث ذكر أن بعض الوزراء راسلوه شاكرين بعد معالجتهم أو معالجة أقاربهم[1]وقد ذكر أن أبا جعفر عالج ابن القاضي النعمان من مرض ألمّ به حتى برئ من علته فأرسل إليه القاضي كتابا شكره فيه «ومعه منديل بكسوة وثلاثمائة مثقال، فقرأ الكتاب وجاوبه شاكرا، ولم يقبض المال ولا الكسوة» فلما لوحظ له في ذلك قال: «والله لا كان لرجال معدّ قبلي نعمة»[2].

ويكشف هذا الموقف عن وعي ابن الجزار مهنيا وأخلاقيا جعله يحافظ على المسافة بينه وبين السلطة السياسية في عصره.

وربما كان لهذا الموقف المنعزل سبب آخر هو الفوضى وكثرة الحروب والاضطرابات التي شاهدتها البلاد منذ قيام الدولة الفاطمية في المهدية واستلام رجال من كتامة أمور الحكم ، وهم بربر لا عهد لهم بالحضارة والمدنية ودليلنا على ذلك انه في كتابه «أخبار الدولة» على ما يذكر ابن أبي أصيبعة [3]وصف رجال دولة الإمام أبي عبيد الله المهدي على لسان أستاذه إسحاق بن سليمان « فلما وصل أبو عبد الله داعي المهدي إلى رقّادة أدناني وقرب منزلتي وكانت به حصاة في الكلى، وكنت أعالجه بدواء فيه العقارب المحرقة فجلست ذات يوم مع جماعة من كتامة، فسالوني صنوف في العلل فكلما أجبت لم يفقهو قولي فقلت لهم: "إنما أنتم بقر وليس معكم من الإنسانية إلا الاسم».

فبلغ الخبر أبا عبد الله فلما دخلت عليه قال لي: "تقابل إخواننا المؤمنين من كتامة بما لا يجب وبالله الكريم، لولا أن عذرك بأنك جاهل بحقهم وبقدر ما صار إليهم من معرفة الحق وأهل الحق لأضربن عنقك".

وهاته القصة نصف مقدار الجهل والتفاهة اللتين كانتا سائدتين في بلاط الأمراء الفاطميين وحاشيتهم، كما أن ذكر ابن الجزار لهذه القصة بالذات يؤكد على أن نظرته إلى

[1] ابن الجزار، زاد المسافر، المصدر السابق، ص: 8(مقدمة التحقيق).

[2] ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء في طبقات الأطباء، المصدر السابق، ص:481.

[3] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص:480.

أولئك الناس كانت مثيلة لنظرة أستاذه فلا عجب وهو رجل العلم والفضيلة أن ينزوي ويبتعد عن تلك المجتمعات[1].

كذلك إذا عدنا إلى مقدمات كتبه وجدناها تختلف عن العادة المتبعة من قبل المؤلفين في ذلك الزمان، فلقد اعتاد هؤلاء إهداء كتبهم إلى الأمراء والسلاطين مع سيل من المديح، كذلك فقد كان بعضهم يمتدح نفسه شارحا الصعوبات التي لقيها في جمع تلك المعلومات وتصنيفها الخ..... أما ابن الجزار فلا نجد عنده شيئا من هذا[2].

إذ يبدأ في كتابه «سياسة الصبيان وتدبيرهم» هكذا: "بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم قال أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد: إن معرفة سياسة الصبيان وتدبيرهم باب عظيم الخطر، جليل القدر....."[3].

ويبدأ كتابه «في المعدة وأمراضها ومداواتها» هكذا: "كتاب في المعدة ألفه للسيد الأمير ولي عهد المسلمين بن أمير المؤمنين عبده احمد بن إبراهيم بن أبي خالد المتطبب، قد علم خاصة الناس وكثير من عامتهم أن أكثر الناس فضلا وأعظمهم قدرا، أظهرهم للخير فعلا واسبقهم على الناس نعما وأن أسعد الناس طرا جدا وأوفرهم حظا من صرف رأيه وهمته ولطيف عنايته إلى الاجتهاد..."

وكلمته هذه كأنما تعتذر عن الإهداء إلى الأمير وإصراره على أن القيمة الكبرى تعود إلى من يعمل في الاجتهاد فكره وأنه يضع رتبة العلم فوق كل المراتب[4].

ومما يدل على ذيوع شهرة ابن الجزار خلال حياته ما رواه المالكي في رياض النفوس[5]أن الحكم –الخليفة الأموي بالأندلس– كان يقول «ليس اشتهي من دولة الشويعي إلا أربعة: أبو

---

[1] ابن الجزار، كتاب في المعدة وأمراضها ومداواتها، المصدر السابق، ص:21.

[2] ابن الجزار، المصدر نفسه: 21.

[3] ابن الجزار القيرواني "سياسة الصبيان وتدبيرهم تح وتق "د، محمد الحبيب الهيلة، تونس: الدار التونسية للنشر، 1968، ص:57.

[4] ابن الجزار، كتاب في المعدة وأمراضها ومداواتها المصدر السابق، ص:22.

[5] ابن الجزار، سياسة الصبيان وتدبيرهم، المصدر السابق، ص:33.

القاسم ابن أخت الغساني المعري وابن الصيقل الشاعر وابن الجزار الطبيب وابن القصطيلية المُعَبَّر، فأما أبو القاسم ابن أخت الغسّاني وابن الصيقل فقد وصلا إليه وأقاما عنده حتى ماتا، وأما ابن القصطيلية وابن الجزار فلم يصلا إليه»[1].

وكان ابن الجزار حسب اتفاق المصادر القديمة التي ترجمت له من أحسن العلماء خلقا واستقامة في السلوك وكان عزيز النفس أبيا لا يتقرب ويتزلف لأحد ممن كانوا في السلطان آنذاك ولكنه كان لا يمتنع من خدمة أي مريض مهما كانت منزلته وينفعه بطبه وعلمه وهذا راجع إلى كونه كان من عائلة فيما يبدو غنية وكان هو نفسه ذا مال كثير، يؤكد ذلك ما ذكره ابن جلجل عن الثروة التي خلفها بعد وفاته[2] وهي أربعة وعشرون ألف دينار[3].

مما سبق يتبين أن علاقة ابن الجزار بالسلطة السياسية اتسمت بطابع متوازن، إذ لم يكن منخرطا في دوائر الحكم انخراطا مباشرا لكنه حظي بتقدير السلطة، لما عُرف به من علم وكفاءة، مع محافظته على استقلاله العلمي والأخلاقي، وقد أسهم هذا في تعزيز مكانته حيث جمع بين القبول الرسمي وثقة العامة دون ان يكون تابعا للسلطة.

المبحث الثاني: مكانة ابن الجزار لدى العامة.

المطلب الأول: شهرة العائلة

في أواخر الدولة الأغلبية اشتهر بالقيروان أفراد بيت واحد برعوا في علم الطب واحترفوا به حذق زائد وأمانة وقد توارثوه خلفا عن سلف وتناقلوه ما يزيد عن المائة عام وهم (بنو الجزار)

[1] أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي، كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم تح: بشير البكوش، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1994، ج2، ص:477.

[2] عادل محمد علي الشيخ حسين، ابن الجزار القيرواني سيرته مؤلفاته وجهوده في الطب والصيدلة، د. د.ن، جامعة بغداد، 1988، ص:7.

[3] انتصار بلعباسي، الطب والصيدلة في بلاد المغرب في العصر الوسيط، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2016/2015، ص:14.

ومن دواعي الأسف أن أغفل أصحاب الطبقات تراجمهم ولم يذكروا لنا منهم سوى واحد وهو أحمد الذي غمرت شهرته بقية الأسرة[1].

كان ابن الجزار شخص عزيز النفس مشتريها وذلك راجع إلى البيئة العلمية العائلية التي ولد وترعرع فيها فقد كان يمضي جل وقته في القراءة والتأليف أو علاج المرض وصنع الأدوية وتركيبها[2].

أبو بكر محمد بن أبي خالد بن الجزار عم أحمد ابن الجزار فقد تلقى علم الطب في صغره وعن إسحاق بن عمران وعن تلميذه إسحاق الإسرائيلي كما أخذ عن زياد بن خلفون وعن غيره من أطباء بني الأغلب وقد وصفه ابن أخيه وتلميذه احمد في تأليفه "**نصائح الأبرار** "فقال: «كان عمنا عالما بالطب حسن النظر فيه»[3].

إبراهيم بن أبي خالد بن الجزار هو أخو أبي بكر السالف الذكر ووالده الطبيب أحمد كان ممن تعلم الصناعة الطبية وزاول فنونها مع أخيه على من تقدم ذكرهم من حكماء افريقية وكان يباشر مهنة الكحالة في القيروان في آن واحد مع أخيه ولا ندري من أخباره إلا ماساقه ابن جلجل في ترجمة ولده أحمد حيث يقول" هو طبيب ابن طبيب وعمه ابي بكر طبيب"[4].

كانت عائلة ابن الجزار ذات ثروة وجاه وحسب ونسب، فورث ابن الجزار كل هذا [5]وانعكست على مكانته لدى العامة بسبب المحيط العائلي المشهور بالعلم والطب [6]ويمكن القول إن ابن الجزار كان صاحب المكانة العلمية والشعبية في بلاد المغرب العربي على

[1] حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية، المرجع السابق، ص:239.

[2] خلوط أسماء، المرجع السابق ص:89.

[3] حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية الإسلامية بإفريقية التونسية، المرجع السابق، ص:239-240.

[4] حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية الإسلامية بإفريقية التونسية، المرجع نفسه، ص: 240-241.

[5] محمد بوشريط، المرجع السابق، ص: 20.

[6] رجاء عبدلي، المرجع السابق ص: 56.

الإطلاق بسبب "الثالوث الطبي" لعائلة ابن الجزار كان مسيطرا على الحياة الثقافية والطبية في المجتمع القيرواني خلال القرن الثالث هجري /العاشر ميلادي[1].

ويمكن القول مما سبق أن البيئة العائلية التي نشأ فيها ابن الجزار كان لها أثر واضح في تكوينه العلمي والاجتماعي إذ ساهم استقرارها ومكانتها في تهيئة الظروف الملائمة لطلب العلم وممارسة الطب، وعليه يمكن اعتبار الأسرة عاملا مهما في تمهيد الطريق أمام بروزه وارتقائه إلى مكانة مرموقة في مجتمعه.

[1] رجاء عبدلي، المرجع نفسه، ص: 56-57.

المطلب الثاني: الصفات والأخلاق

كان ابن الجزار حسب اتفاق المصادر القديمة التي ترجمت له من أهل الحفظ والتطلع والدراسة للطب وسائر العلوم، وقضى عمره في الدرس والبحث والتجارب والعلاج والتعليم، ويذكر ابن جلجل في كتاب "طبقات الأطباء والحكماء" (ألفه سنة 364ه او 365ه/974م) أنه اتخذ سقيفة داره وأقعد فيها غلاما يسمى رشيق وأمده بجميع المعجونات والأشربة والمراهم والأشياف[1] وسائر المستحضرات، فيمر المرضى بهذا الغلام بعد زيارتهم للطبيب حاملين منه ورقة إليه يصف فيها ما يناسبهم من الأدوية ،فيعطيهم الدواء المشار به ويقبض الثمن وذلك تنزها من قبل ابن الجزار أن يأخذ من أحد شيئا[2].

ولابد أن من اتصف بهذه الصفات يعطف على الفقراء و يهتم بهم ويطببهم مجانا في أكثر الأحيان، ودليلنا أنه كرس للفقراء كتابا خاصا أسماه "طب الفقراء "[3]وقال عنه ياقوت الأموي «وكان له معروف كثير، وأدوية يفرقها على الفقراء ويوزعها على المعوزين بدون مقابل» احتسابا لوجه الله[4].

كان ابن الجزار مستقيم السلوك ومن ذلك ما قاله عنه معاصره الطبيب الأندلسي أبو داوود سليمان بن حسان ابن جلجل (ت، بعد 384ه/994م) وكان قد أخذ بنفسه مأخذا عجيبا في سمته وهديه وقعوده، ولم تحفظ عليه بالقيروان زلة قط، ولا أخلد إلى لذة[5].

واتّسم ابن الجزار بصفات العالم الحقّ؛ إذ كان متواضعًا، معترفًا بما يدين به من فضل للأطباء الأوائل وأعمال الباحثين، كما كان يعزو كلَّ ما ينقله إلى قائله. وقد دأب على تصدير كتبه بمثل هذا القول: «ألّفتُ كتابًا جمعتُ فيه عيون ما ذكره أفاضل الأطباء من مكنون

[1] الاشياف جمع شياف وهو دواء مسحوق يستعمل للعيون. والشياف دواء يجعل قمعا أو تلبيسة (تحميلة) لأخذ العلاج عن المملوكي-دار الفكر المعاصر بيروت 1990 ط1 ص 99

[2] رجاء عبدلي، المرجع السابق، ص:57.

[3] ابن الجزار القيرواني، كتاب المعدة وأمراضها ومداوتها، المصدر السابق، ص:22(مقدمة).

[4] الياقوت الحموي، معجم، المصدر السابق، ص:137.

[5] ابن جلجل، المصدر السابق، ص:89.

علمهم، وصحيح تجربتهم، ومحصَّل سرّهم في طريق مداواة الأدواء.«... أو "أدوية جمعتها في كتب جالينوس وديسقوردوس وبولص وغيرهم من أفاضل الأطباء، وهذا ما يقتدى به"[1].

كان ابن الجزار عزيز النفس مستقلا بذاته ويروى ابن أصيبعة عن ابن جلجل أن أبا جعفر عالج ابن القاضي النعمان من مرض فأراد القاضي أن يكافئه بكسوة ومال لكن ابن الجزار جاوبه شاكرا ورفض المال والكسوة وأُعجب القاضي بذلك، وقال له أحد الحاضرين يأبا جعفر رزق ساقه الله إليك فكان جوابه "والله لا كان لرجال معّد قبلي نعمة."[2]وتؤكد قصة ابن الجزار مع القاضي النعمان سخاءه وزهده في الدنيا 3.

ومن صفات الطبيب ابن الجزار أنه كان يتابع حالة المرضى ومفعول الأدوية العلاجية فيؤتى إليه يوميا «بالماء» وهو قارورة «البول» لينظر فيها وهذا دليل على مدى تعلق ابن الجزار بصحة مرضاه، والمعروف أيضا أن ابن الجزار كان يعالج المرضى «بأقل تكلفة وأيسر مؤونة» حسب تعبيره في مقدمة كتابه «طب الفقراء والمساكين»

وكان ابن الجزار بفعله هذا ومواساته لضعفاء الحال، كان مراعيا «لقسم أبقراط» الذي يتعهد به الأطباء القدامى والمعاصرون قبل الترخيص لهم بمزاولة الطب 4.

اتصف أبا جعفر الطبيب بصفة الرجل المتواضع، يختلط مع عامة الناس «يشهد الجنائز والعرائس» يشاطر أبناء القيروان في أفراحهم وأحزانهم، وله صديق واحد من أهل السلطة وهو أبو طالب وكان يلاقيه يوم الجمعة لا غير كما كان يذهب "أيام القيظ "إلى المنستير ويقيم بها على شاطئ البحر مدة ولعلّه كان يهوى سباحة[5].

---

[1] ابن الجزار، زاد المسافر وقوة الحاضر، المرجع السابق، ص:9 (مقدمة التحقيق).

[2] ابن أبي اصيبعة، المصدر السابق، ص:481.

[3] محمد بوشريط، المرجع السابق، ص:20.

[4] أبو جعفر أحمد ابن الجزار، كتاب في فنون الطيب والعطر، تح: الراضي الجازي، فاروق عسلي، تونس: المجمع التونسي للعلوم والأدب والفنون، بيت الحكمة، ط2-2007، ص:14.

[5] أبو جعفر أحمد ابن الجزار، المصدر نفسه، ص:15.

ويذكر الذهبي شمس الدين صاحب كتاب تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام أن ابن الجزار كان دّينا متجملاً منصوبا(ملتزما) خلف أموالا طائلة، وكان صديق أبي طالب عم المعُز العُبيدي[1].

ويعتبر أحمد بن أبي خالد بن الجزار واحداً من رموز العلم والمعارف الإفريقية قاطبة وليس لعصره فحسب، بل لكل عصور الرسالة، ولقد رأيناه عالم تربية مرموقاً، وفوق هذا وذلك فقد كان أدبيا لامعا[2].

يذكر زيتون محمد في كتابه القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية أن ابن الجزار كان محسنا ويعتني بالفقراء ويداويهم بدون أجر تقربا إلى الله تعالى وقد أكسبه منزلة عالية في القيروان[3].

ذكر السامرائي كمال في كتابه المختصر في تاريخ الطب العربي أن ابن الجزار اشتهرت أعماله بالمديح وذاع اسمه بين الناس طبيبا حاذقاً وكريما وصار يقصد المرضى من كل الطبقات ويروي أيضا أنه كان رفيع الأخلاق وبعيداً عن الدناءات ومتعاليا عن الطبقات الرخيصة من الناس وعن أعمالهم ولا يقبل العطايا منهم[4].

في الأخير يتبين أن المكانة الاجتماعية لابن الجزار لم تكن نابعة من علمه فقط بل من أخلاقه الرفيعة إذ عُرف بالزهد والتواضع والرحمة بالفقراء والصدق والأمانة العلمية مما أكسبه ثقة الناس وتقديرهم، تعد مثالا للطبيب العالمي الذي جمع بين الكفاءة المهنية والسمو الإنساني الأمر الذي أسهم في ترسيخ مكانته ودوام أثره في محيطه الاجتماعي والحضاري.

---

[1] الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام، تح: عمر عبد السلام تدميري، بيروت: دار الكتاب العربي، ط2-1993، ج26.

[2] حوالة يوسف بن أحمد، الحياة العلمية في إفريقية "المغرب الأدنى" منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس هجري90/450، السعودية: دن، ط1- 2000م، ج2، ص:382.

[3] زيتون محمد محمد، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، القاهرة: دار المنار، ط1-1998م، ص:398.

[4] السامرائي كمال، المختصر في تاريخ الطب العربي، د. د. ن: دار النضال، ج1، ص: 573.

المطلب الثالث: شهرة أحمد ابن الجزار كطبيب

ذاع صيت ابن الجزار في القيروان وإفريقية وكذلك الأندلس، بفضل سمته ومهارته وأقبل عليه العديد من الأطباء وطلبة العلم حيث أصبح أحمد ابن الجزار "مدرسة ومرجعاً". [1]وقد تُرجمت مؤلفاته إلى اللاتينية والعبرية وحازت على الكثير من الاهتمام في الدوائر الطبية الأوروبية، لن تقتصر مؤلفات ابن الجزار على الطب والصيدلة فقط بل شملت الأدب والطبيعيات والتاريخ والجغرافيا والفلسفة وافتخر بها أهل إفريقية[2] فاشتهر ابن الجزار القيرواني وهو على قيد الحياة بفضل هذه التراجم وأولها كانت الترجمة اليونانية التي ظهرت في أواخر القرن العاشر ميلادي.

والملاحظ أن الترجمة اللاتينية لكتاب "زاد المسافر وقوت الحاضر"، قام بنقلها الراهب القرطاجني الأصل "قسطنطين الإفريقي"،[3] وأما الترجمة اليونانية فقد قام بها قسطنطينوس ريجيوس بعنوان: ايفودس (Ephods). وباللغة العبرية كان أول مترجم لها المسمى موسى بن طيبون.

ومن المؤكد أن جميع هذه الترجمات للغات أجنبية أدخل عليها بعض التغيير أو التبديل بالنسبة للنص الأصلي لابن الجزار، ولكن ذلك لم يمنع ترويجها وتدريسها في هذا الغرب الأوروبي، وطبعت نسخاً كثيرة [4].

---

[1] ابن الجزار القيرواني، طب المشايخ، المصدر السابق، ص: 24.

[2] رجاء عبدلي، المرجع السابق، ص: 63.

[3] ابن الجزار القيرواني، طب المشايخ، المصدر السابق، ص: 26-27.

[4] قسطنطين الأفريقي (المتوفى عام 1087) ولد في قرطاجنة ورحل إلى خراسان وبغداد والشام ومصر والقيروان والهند، ولما رجع إلى تونس وقع أسيراً، ثم اعتنق النصرانية والتحق بمدرسة الطب في سالرنه (1060) وترهب في دير مونتيكايسينوا، وطفق يترجم كتب الطب ... وكتاب التقاسيم وزاد الحاضر لأحمد بن الجزار، كتاب المستشرقون لنجيب العقيقي، قسطنطين الأفريقي، ج1، ص: 121.

المبحث الثالث: مكانة ابن الجزار بين العلماء وطلبة العلم

المطلب الأول: مكانته بين العلماء

تتجلى القيمة المعرفية والمنزلة العلمية لابن الجزار من خلال شهادات معاصريه ومن تلاه ومن العلماء الذين أفردوا له تراجم خاصة وفيما يلي عرض لآراء بعض الأعلام الذين أشادوا بفضله:

-ابن أبي أصيبعة: الذي ذكره بقوله: "وكان ابن الجزار من أهل الحفظ والتطلع والدراسة حسن الفهم..."[1].

-ابن جلجل: "إن أحمد بن أبي خالد كان قد اخذ لنفسه مأخذا عجيبا في سميه وهديه وتعدده ولم يحفظ عنه بالقيروان زلة قط.. "[2].

-ياقوت الحموي: وهو نفس ما ذهب إليه صاعد الأندلسي وهذا ما يظهر لنا جليا من خلال محلاّه به فقل:" حاذقا دارسا كتبه جامعة لتواليف الأوائل حسن لها"[3]

-صاعد الأندلسي: «الذي قال فيه إنه كان حافظا للطب دارسا لكتبه جامعا لتواليف الأوائل حسن الفهم.»[4].

-الصفدي:" والذي ذكره كما ذكره أصحاب كتب التراجم السابقين على أنه كان حاذقا دارسا، كتبه جامعة لتواليف الأوائل.."[5].

-ابن عذاري المراكشي: "ذكره بقوله: "الطبيب الكبير المعروف بابن الجزار"[6].

---

[1] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص:481.

[2] ابن جلجل، المصدر السابق، ص:89.

[3] ياقوت الحموي، المصدر السابق: ج1، ص:187.

[4] صاعد الأندلسي، المصدر السابق، ص:61.

[5] الصفدي، المصدر السابق، ج6، ص:132.

[6] ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص:237.

-كشاجم الشاعر: الذي أعجب بهذا العالم الجليل فكتب فيه أبياتاً شعرية مدحه بها فمما جاء منها قوله من البحر الطويل:

أبا جعفر أبقيت، حيا وميتا..... مفاخراً في طهر الزمان عظاما[1]

وجاء في مؤلف المستشرقة الألمانية زغريد هونكه "شمس العرب" تستطع على الغرب: "وهناك كتاب آخر جمعت معلوماته من التجربة ويهدف إلى التجربة ذاتها، وعنوانه زاد المسافر وقد صنفت باختصار ووضوح كل أسباب الأمراض التي قد تصيب المرء في رحلة ما وعوارض هذه الأمراض وطرق علاجها وأما مؤلفه فهو الطبيب القيرواني ابن جزار"[2].

جاء في ترجمته عند سزكين: "كانت مؤلفاته واسعة الانتشار عند اللاتين وانتحل قسطنطين الإفريقي الجزء الأعظم منها وقد ورد اسمه مصحفا في الكتب اللاتينية بأشكال مختلفة [3].

ذكر لوسيان لكلير أنه كان متزنا ومنهجيا في دراسة الطب وتطبيقاته والذي مارسه باستقلالية ورفض مثل نظرائه في المغرب الارتباط بالأمراء[4].

تميز ابن الجزار عن بقية المؤلفين في كتابه بأسلوب بديع وطريف قلده الأطباء من بعده ولا يزال العمل به إلى اليوم، كذلك تميز ابن الجزار بتعداد قائمه أسماء الأطباء الذين نقل عنهم [5]أو أيدهم في كتابة وهنا يتجلى بوضوح التلاقح الحضاري العربي الإسلامي والحضارة اليونانية والسريانية ومن بين هؤلاء الأطباء نذكر:

- إسحاق بن عمران وإسحاق بن سليمان وابن خلفون عمه وأبا بكر.
- جالينوس وأبقراط ورفس وتردیون وفرقیوس وديوسكردوس من أطباء اليونان.

---

[1] محمد بوشريط، المرجع السابق، ص:21.

[2] هونكه زغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، تر: فاروق بيضون، كمال دسوقي، بيروت: دار الجيل، دار الآفاق الجديدة، ط8، ص288.

[3] قادة دين، المرجع السابق، ص:181.

[4] LECLERC Lucien, Op. Cit, p : 413.

[5] رجاء عبدلي، المرجع السابق، ص: 65.

• ماسويه وابنه يوحنا من السريانيين[1].

كل هاته الشهادات تشير إلى مكانة ابن الجزار في تاريخ الطب العالمي وفي تاريخ علماء المسلمين والتي انعكست على مكانته وسط المجتمع القيرواني.

المطلب الثاني: مكانة ابن الجزار بين طلبة العلم

ذكرت المصادر أن طلاب العلم كانوا يستمعون إلى دروس ابن الجزار ويشاهدون طريقة ممارسته في الصنعة[2]، ومن تلاميذ ابن الجزار أبو حفص بن بريق الأندلسي[3].1879

نال ابن الجزار شهرة واسعة في حياته وبعد وفاته ووصل خبره الى الأندلس فتوافد عليه التلامذة من بينهم أبو حفص بن بريق فسمع منه ورجع إلى بلاده حاملا زاد المسافر، وابن بريق هذا هو الذي أفاد ابن جلجل عن حياة المؤلف حسب الظن فترجم له في كتاب الطبقات وكان معاصرا له والترجمة تشير إلى تقدير من تلميذ إلى أستاذه.[4]

حيث قال ابن جلجل عن أبي حفص: «كانت له رحلة إلى القيروان إلى أبي جعفر ابن الجزار لزمه ستة أشهر لا غير، وهو أدخل إلى الأندلس كتاب زاد المسافر»[5].

هذا كل ما جادت به قريحة بعض من تراجم لهذه الشخصية وحول شخصيته ومكانته بين طلبته إذ جمع ابن الجزار غزارة العلم وحسن التعليم فصار مقصدا للمتعلمين ومرجعا في التكوين الطبي والعلمي.

[1] ابن الجزار القيرواني، زاد المسافر، المصدر السابق، ص:36.

[2] كمال السامرائي المرجع السابق، ص:573.

[3] انخل بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، تر: حسين مؤنس، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، د، ت، ن، ص:461.

[4] أحمد بن ميلاد، المرجع السابق، ص: 60.

[5] ابن الجزار القيرواني، طب المشايخ، المصدر السابق، ص:26.

المبحث الرابع: الطب ودوره الاجتماعي عند ابن الجزار

أسهمت ممارسة ابن الجزار القيرواني لمهنه الطب في إحداث أثر اجتماعي خدم كل فئات المجتمع خاصة الفقراء وكسب ثقة الناس مما رفع مكانته الاجتماعية وتجلى ذلك كما ذكرنا سابقا من خلال ممارسته الطب كمهنة واتخاذ بيته كعيادة للتداوي وكذلك من خلال مؤلفاته ومواضيعها التي شملت أطياف المجتمع ونذكر أبرزها:

-**كتاب طب الفقراء والمساكين:** والذي خصصه للفئة المهمشة من الفقراء والمساكين حيث يقول ابن الجزار في كتابه: "هذا كتاب مجموع من كتب الأوائل في علاج الفقراء والمساكين بالأدوية مما عنى بجمعه وتأليفه أحمد بن إبراهيم المتطبب المعروف بابن الجزار القروي رحمه الله.."[1].

-**كتاب طب المشايخ وحفظ صحتهم:** يتطرق الكتاب إلى حفظ صحة المشايخ فيصف لهم ابن الجزار أدوية "جربها وحمدها" – حسب تعبيره المعتاد – ثم يقدم لهم نصائح اتفق عليها الأطباء القدامى، [2]فيقول في مقدمة الكتاب: "قال مقتفي آثار الحكماء أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد بن الجزار المتطبب رحمه الله في كتابه المجموع من أقاويل الأوائل في حفظ المشايخ لتدوم لهم الصحة إلى وقت آجالهم صحة تلائم أبدانهم"[3].

-**كتاب سياسة الصبيان وتدبيرهم:** والذي يعالج المشاكل الصحية للأطفال وهو كتاب مفيد ويظهر الكاتب سبب تأليفه هذا الكتاب من خلال مقدمته التي يستهلها ابن الجزار بالبسملة ويقول: "إن معرفة سياسة الصبيان وتدبيرهم باب عظيم الحظر، جليل القدر ولم أرَ لأحد من الأوائل المتقدمين في ذلك كتاباً كاملاً شافياً، بل رأيت ما يحتاج من علمه ومعرفته من ذلك

[1] ابن الجزار القيرواني، طب الفقراء والمساكين، المصدر السابق، ص:37.

[2] ابن الجزار، طب المشايخ وحفظ صحتهم، المصدر السابق، ص: 7 (تقديم).

[3] ابن الجزار، المصدر نفسه، ص: 39.

متفرقاً في كتب شتى... رأيت أن أجمع المتفرق من ذلك في الكتب".[1]ويتناول هذا الكتاب المرضع وأوصافها، غذاءه، اللبن وأوصافه، المرضعة وغذاءها وأمراض الصبيان[2].

-كتاب زاد المسافر وقوت الحاضر: والذي يُعنى بالمسافر والبلدان الأخرى يقول الدكتور عبد الكريم شحادة، أستاذ الطب سابقاً بحلب: «إن (زاد المسافر) موسوعة طبية مختصرة شاملة كُتبت بأسلوب سهل شيق، واحتوت على كل ما يحتاج إليه الطبيب وطالب الطب فضلاً عمن ليس بطبيب مسافراً كان أو مقيماً، كلهم يجدون في هذا الكتاب الجامع، بيسر وسهولة وبلغة مبسطة»[3].

كذلك يشير ابن الجزار إلى نفس الغرض في كتابه بقوله... « ويكون تذكرة للعالم الماهر وزاد للمسافر إلى البلدان البعيدة التي لا يوجد فيها طب[4].

-كتاب العطورات في أصناف الطيب وذكر فوائدها: يعالج الكتاب أصناف العطورات المعقدة والمستعملة حسب السن والموضع ثم يذكر ابن الجزار المواد التي تصنع منه هذه العطورات وتركيباتها[5] وجاء في مقدمة المُؤلف: "قد ذكرنا في كتابنا هذا من صنوف الطيب ما جربناه، عملناه (صنعناه) واخترنا تركيبه ورجوناه بمنفعة الأبدان وعونها على طيب الحياة وصحتها... وفي وقتها من الأمزجة والسن... وفي كل جسم غاية وكفاية...". ثم يذكر المواد التي تصنع العطورات: العنبر وأصنافه، والعود وأجناسه والكافور وأصنافه....[6].

ويشير إبراهيم بن مراد إلى إشعاع ابن الجزار وتأثيره في الثقافة العربية والإسلامية والثقافة الأوروبية في القرون الوسطى بقوله: "لقد بدأ تأثير ابن الجزار في الثقافة العربية الإسلامية وهو

---

[1] ابن الجزار، سياسة الصبيان وتدبيرهم، تح: محمد الحبيب الهيلة، تونس: بيت الحكمة، 2009م، ص: 57.

[2] رجاء عبدلي، المرجع السابق، ص: 64.

[3] ابن الجزار، زاد المسافر، المصدر السابق، ص: 32.

[4] ابن الجزار، المصدر نفسه، ص: 92.

[5] رجاء العبدلي، المرجع السابق، ص: 70.

[6] ابن ميلاد أحمد، المرجع السابق، ص: 78

لا يزال على قيد الحياة وخاصة بكتابه 'زاد المسافر وقوت الحاضر' حظي بمنزلة كبيرة جداً في المشرق العربي وفي الأندلس"[1].

وجاء فيما رواه ابن أبي زيد المالكي في كتابه رياض النفوس: "أن الحكم – الخليفة الأموي بالأندلس – كان يقول: ليس لشيء من دولة بني أمية إلا أربعة: أبو القاسم ابن أخي الغساني المقرئ وابن الصيقل الشاعر وابن الجزار الطبيب وابن القصطيلية المعبّر"[2].

وعلاوة على ذلك فقد ذكر عدد آخر من المؤرخين الغربيين الذين تناولوا بالدراسة تراث العرب العلمي والطبي، ابن الجزار ومنجزاته مثل المؤرخ والأديب الألماني كارل بروكلمان في مصنفه "تاريخ الأدب العربي" و"سارتون" في كتابه مدخل إلى تاريخ العلوم و "إسكندر (A. Z. IZKANDAR) في مصنفه "فهرس المخطوطات الطبية العربية"، إذن فكل هاته تشير إلى الشهرة الكبيرة لابن الجزار القيرواني والتي أعطت له مكانة اجتماعية مرموقة في القيروان وخارجها[3].

المبحث الخامس: أثر ابن الجزار

المطلب الأول: تأثير ابن الجزار في شمال إفريقيا

كان لابن الجزار التأثير الكبير في تطوير العلوم الطبية في شمال إفريقيا من خلال مؤلفاته الطبية التي انتشرت داخل وخارج القيروان وكذا أثره الاجتماعي من خلال علاج الناس وتحسين الرعاية الصحية، ويمكن أن نورد أثره في المنطقة كالتالي:

جعل الطب تخصصات كتب عن كل تخصص منفرد عن الآخر، فطب للأطفال وطب للفقراء والمساكين، وطب المشايخ... وصنّف لكل مرض وألم دواءً حتى وصلت الأدوية إلى

[1] ابن مراد إبراهيم، بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، بيروت – لبنان: دار الغرب الإسلامي، ط1– 1411 هـ – 1991م، ص: 200.

[2] المالكي، رياض النفوس، المصدر السابق، ص: 477.

[3] قادة دين، المرجع السابق، ص: 181–182.

278 دواءً، من بينها في الدرجة الأولى 219 دواءً نباتي أما البقية الباقية فأكثرها معدني وحيواني [1].

-حقق في أشخاص النباتات وضبط أسماءها بالعربية أو بلهجة إفريقية ويعين أحياناً منابتها وأماكن تواجدها في جهة القيروان أو تونس وذلك لتسهيل المهمة للمرضى حتى يذهبوا إليها.[2]

-لقد اهتم ابن الجزار بنشر ثقافة طبية لكافة الناس، فقد كان يضبط أسماء النباتات الطبية باللغة العربية وبالتسمية البربرية حتى يُعرف للعامة جميعا فمثلاً يذكر نبتة البُر تُعرف بالشبْرم وأيضاً الباهوت، ويذكر أن البربر تسميها "التانقيت"، ويصفها وصفاً دقيقاً حتى يكاد يرسمها قولاً لتكون واضحة معلومة لا يُختلف فيها[3].

-خصص بعضاً من كتبه لشرائح من المجتمع ككتاب طب الفقراء والمساكين للفئات الهشة وكتاب طب المشايخ لكبار السن وكتاب سياسة الصبيان للأطفال حيث كانت له في الطب تواليف عجيبة وكان من أهل الحفظ والتطلع والدراسة والطلب وسائر العلوم[4].

-أسس مدرسة للطب والصيدلة جذبت طلاب علم الطب من داخل وخارج القيروان حيث كان الوافدون من الأندلس ومن مصر ومن المشرق الإسلامي بسبب شهرته وكانت كتبه منتشرة بين علمائها، وقد أشار ابن الجزار بنفسه إلى هذا في مقدمة كتابه "طب الفقراء والمساكين" إلى ما لقيه كتابه "زاد المسافر" من حظوة بين الناس فقال: "شاع في البلدان خبره وحسن عند الحكماء أثره"[5].

---

[1] جهيدة بوجمعة، المرجع السابق، ص: 125.

[2] الشيخ حسين عادل محمد، ابن الجزار القيرواني، سيرته، مؤلفاته، جهوده في الطب والصيدلة، بغداد: مركز إحياء التراث العلمي ط1-1989، ص: 16.

[3] جهيدة بوجمعة، المرجع السابق، ص: 125.

[4] ابن جلجل، المصدر السابق، ص: 89.

[5] جهيدة بوجمعة، المرجع السابق، ص: 128.

-شهرة القيروان بسبب عائلة "ابن الجزار" وبفضله خصوصاً نسبت القيروان إلى اسمه وسمي بابن الجزار القيرواني بفضل شهرته الكبيرة وصفاته الجليلة بين العامة والخاصة.[1]

-يعتبر ابن الجزار من أوائل الأطباء في شمال إفريقيا الذين قاموا بالتدريس في الصيدلة وتصنيف الأدوية وطرق تحضيرها وكذا تبيين بعض الأدوية المغشوشة وأيضاً وضع أبدال الأدوية إذ وضع كتاباً لها "أبدال الأدوية" [2].

المطلب الثاني: تأثير ابن الجزار على المشرق

برغم أن ابن الجزار لم يفارق إفريقية ولم يتوجه إلى الشرق قصد الحج أو بغية الاجتماع بأصحاب الطب فيه، وهذا الشاعر كشاجم، من أهل الرملة بفلسطين، المتوفى سنة 360 هـ / 970 م وهو لم يدخل القطر الإفريقي، يقول في مدح أبي جعفر، واصفاً كتابه "زاد المسافر" في سفره:

أبا جعفر أبقيت حياً وميتاً ... مفاخر في ظهر الزمان عظاما

رأيت على زاد المسافر عندنا ... من الناظرين العارفين زحاما[3]

وهذا دلالة على أن زاد المسافر قد وصل إلى الشرق فكان موضع تقدير وعلو شأنه مما يدل على تأثيره.

من الأدلة التي تبين تأثير ابن الجزار على الأطباء المشارقة هو نقل أطباء كبار منه، وخير دليل على ذلك أن ابن سينا تعرض في كتابه "القانون" لكثير من محتويات كتاب سياسة الصبيان لابن الجزار، حيث عثر على جمل كثيرة منقولة حرفياً من هذا الكتاب[4]، كما أن ابن

[1] حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية الإسلامية بإفريقية التونسية، المرجع السابق، ص: 233.

[2] الشيخ حسين عادل محمد، المرجع السابق، ص: 17.

[3] ابن مراد إبراهيم، التداخل اللغوي والثقافي في كتاب "الاعتماد" حوليات الجامعة التونسية، تونس: المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 1983، ع 22، ص: 21.

[4] جهيدة بوجمعة، المرجع السابق، ص: 126.

البيطار [1]أخذ العديد من كتب الطبيب ابن الجزار فقد اعتمد على كتاب "السمائم" ثلاث مرات وكتاب "عجائب البلدان" مرة، بالإضافة إلى كتاب "الاعتماد" في الأدوية المفردة وكتاب "زاد المسافر" الشهير الذي عرف زحاماً من الناظرين والعارفين[2].

من مظاهر تأثير ابن الجزار في المشرق هو ذكر التميمي (أبو عبد الله محمد بن احمد بن سعيد الحكيم المقدسي ثم المصري التميمي) المتوفى حوالي 370 هـ ذكره لابن الجزار في كتابه الشهير "المرشد" وقد كان التميمي معاصرا لابن الجزار[3].

ويذكر ابن البيطار في مواضع عديدة من كتبه بل ويستشهد بكلمة من كتاب ابن الجزار "عجائب البلدان "أما الكتب الأخرى لابن الجزار وخاصة التاريخية منها فقد أخذ منها الكثيرون أمثال: ابن أبي أصيبعة وياقوت الحموي والقاضي عياض والمقريزي وأبو عبيد البكري[4].

وقد وصف حسن حسني عبد الوهاب في تأثير ابن الجزار بقوله: "ابن الجزار كان في المرتبة الأولى بين أعلام عصره من أصحاب الثقافة الواسعة المحيطة، وإنه كان في الضفة الغربية للعالم العربي بمثابة الفارابي وابن سينا والبيروني في المشرق "وهذا ما دل على أن قوة تأثير ابن الجزار وصلت إلى المشرق[5].

من أشكال تأثير ابن الجزار على المشرق هي شهرته فرغم انتشار كتب الرازي وغيره من الشخصيات العلمية بالمشرق وعلى رأسهم يوحنا بن ماسويه صاحب كتاب "التمام "وقد وجدوا في مصنفات ابن الجزار فوائد جمة وتدقيقات مهمة وتجارب جديدة ونهجا وشخصا بديعا.[6]

---

[1] ابن البيطار: عبد الله بن أحمد المالقي، أبو محمد ضياء الدين، المعروف بابن البيطار، ولد في مالقة، ورحل إلى بلاد الإغريق وأقصى بلاد الروم، باحثاً عن الأعشاب والعارفين بها وهو صاحب كتاب "الأدوية المفردة" وله كتاب "المغني في الأدوية المفردة"... وكانت وفاته بدمشق. أنظر: الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص: 67.

[2] سرق مريم، بن شويط سيهام، المرجع السابق، ص:59-60.

[3] ابن الجزار، زاد المسافر، المصدر السابق، ص:12 (مقدمة التحقيق).

[4] ابن الجزار، المعدة، المصدر السابق، ص: 25.

[5] حسن حسني عبد الوهاب ورقات عن الحضارة العربية الإسلامية بإفريقية التونسية، المرجع السابق، ص:322.

[6] ابن الجزار، زاد المسافر، المصدر السابق، ص:12(مقدمة التحقيق).

المطلب الثالث: تأثير ابن الجزار على الأندلس وأوروبا

كان تأثير ابن الجزار على الأندلس وأوروبا عن طريق مؤلفاته التي ترجمت ومن المعلوم أن فضل المدرسة الطبية القيروانية لم تقتصر على إفريقية و المغرب بل الأندلس وأوروبا وسبب في تأسيس أحد أركان النهضة الأوروبية إذا انتشرت العلوم الطبية العربية إلى أوروبا عن عدة طرق منها الأندلس وذلك بالترجمات خاصة طليطلة على يد جيرارد كريموني ومن الشرق عن طريق الحروب الصليبية والطرق التجارية أو عن القاهرة والإسكندرية بالطرق نفسها وكذلك عن طريق هام جدا وهو جزيرة صقلية ومدرسة ساليرنو في جنوب إيطاليا[1].

ومن أشهر الأطباء الذين تلقوا العلم والعمل عن ابن الجزار (أبو حفص عمر ابن بريق الأندلسي) فانه قدم إلى القيروان ولازمه مدة وأخذ عنه الصناعة وروى عنه تأليفه ثم عاد بعد ذلك إلى الأندلس وخدم بالطب الأمراء الأمويين خصوصا الخليفة عبد الرحمان الناصر الذي استخلصه لنفسه [2]، وقد ادخل ابن بريق كتاب زاد المسافر [3]إلى الأندلس وقد ترجم في الأندلس إلى عدة لغات [4]، إضافة إلى ذلك أن عددا من المصنفين اقتبسوا عنوان كتابه الشهير "زاد المسافر "فلصفوان ابن إدريس التجيبي (المتوفى بمرسية سنة 598هـ) كتاب سماه "زاد المسافر وراحلته" وصنف الفقيه محمد بن مروان بن زهد الإشبيلي كتابا في التوحيد سماه "**زاد المسافر في الجدل**"[5].

أما في أوروبا فشهرة ابن الجزار كثيرة وعارمة وأثره واضح فقد اقتحمت كتبه حدود أوروبا منذ عصر مبكر منذ القرن العاشر للميلاد أي في حياته وبعد مماته [6]ويجزم بن مراد أن الجزار

---

[1] ابن الجزار، المعدة وأمراضها، المصدر السابق، ص:45.

[2] حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية الإسلامية بإفريقية التونسية، المرجع السابق، ص: 312.

[3] ا.د. سادسة حلاوي، المرجع السابق، ص312.

[4] حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية الإسلامية بإفريقية التونسية، المرجع السابق، ص:312.

[5] ابن الجزار، زاد المسافر، المصدر السابق، ص:13 (مقدمة التحقيق)

[6] ابن الجزار، المصدر نفسه، ص:13-14 (مقدمة التحقيق).

الجزار أكثر طبيب عربي مسلم ترجمت كتبه للغات الأوروبية ويذكر ثلاث ظواهر دالة على إهتمام أوروبا بكتبه وهي:

✓ ترجم كتابه "**زاد المسافر** "إلى اللغة اليونانية وقد كانت الكتب العربية التي ترجمت إلى اليونانية لا تتجاوز الستة وكان" **زاد المسافر**" أحدها[1].

✓ اعتماد زاد المسافر وتداوله على نطاق واسع جدا في أوروبا سواء في التدريس أو العلاج وصار الكتاب مرجعا لا غنى عنه للطالب والأستاذ والطبيب[2].

✓ ظهور ظاهرة انتحال لفكر وكتب ابن الجزار كما حدث مع قسطنطين الافريقي الذي ادعى أن كتاب زاد المسافر له[3]حيث نُقِل كتاب "**زاد المسافر**" إلى اللاتينية بعنوان(***Viaticum Peregrinantis***).

✓ غير ذاكر لأعلام الطب العربي الذين اقتبس منهم ابن الجزار وانتحل –على عادته– الكتاب لنفسه وطبعت هذه الترجمة مرات عديدة[4].

على غرار كتاب "**زاد المسافر** " الذي تلقى إقبالاً كبيراً وانتشاراً واسعاً في أوروبا[5] فأيضا ترجمت كتب أخرى ولا تقل أهمية عن زاد المسافر مثل:

كتاب الاعتماد وقد نقل إلى اللاتينية والعبرية، وقد انتحل قسطنطين الإفريقي الكتاب لنفسه مثلما فعل بكتاب "**زاد المسافر**" وسماه في طبائع الأدوية ودرجاتها[6].

وهناك مؤلفات ترجمت إلى العبرية واللاتينية تشير إلى مدى تأثير ابن الجزار في أوروبا مثل (**كتاب الخواص**[7]**،كتاب النسيان وطرق تقوية الذاكرة**[1]**كتاب المعدة وأمراضها ومداواتها**[2]**كتاب طب الفقراء والمساكين** [3]**مقالة في الجذام**[4]).

---

[1] جهيدة بوجمعة، المرجع السابق، ص: 127.

[2] ابن مراد إبراهيم، (احمد بن الجزار القيرواني حياته وآثاره وتأثيره)، مجلة الحياة الثقافية، ع41 ، 1986، ص: 124.

[3] جهيدة بوجمعة، المرجع السابق، ص:127

[4] ابن الجزار، زاد المسافر، المصدر السابق، ص:33.

[5] ابن مراد إبراهيم، المرجع السابق، ص:125.

[6] ابن الجزار القيرواني، زاد المسافر، المصدر السابق، ص: 38 (مقدمة التحقيق).

[7] المصدر نفسه، ص:28 (مقدمة تحقيق).

لم يكتف ابن الجزار بتطوير ممارسة الطب في بلده إفريقية وشمال افريقية، بل لقد وصل شعاعه في تطوير الطب والصيدلة وممارسة وكتابة أدوية إلى أوروبا التي شهدت نهضة طبية انتشرت إلى أرجائها الواسعة في حياة ابن الجزار وبعد وفاته [5].

[1] ابن الجزار القيرواني، المعدة، المصدر السابق، ص: 35.

[2] ابن مراد إبراهيم، المرجع السابق، ص:126.

[3] حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية الإسلامية بإفريقية التونسية، المرجع السابق ص: 316.

[4] ابن الجزار القيرواني، المعدة، المصدر السابق، ص:37.

[5] جهيدة بوجمعة، المرجع السابق، ص:127.

خاتمة الفصل :

من خلال هذا الفصل تبيّن أن ابن الجزار القيرواني لم يكن مجرد طبيب وعالم فحسب، بل كان شخصية ذات حضور اجتماعي وعلمي بارز داخل مجتمع الغرب الإسلامي. فقد أسهمت علاقته بالسلطة، ومكانته لدى العامة، وما اتصف به من أخلاق وصفات حميدة، في تعزيز صورته ومكانته كقيمة إجتماعية . كما حظي بتقدير العلماء وطلبة العلم بفضل علمه الواسع ومؤلفاته القيمة التي أصبحت مرجعًا مهمًا في مجال الطب.

وقد أظهر هذا الفصل كذلك أن الطب عند ابن الجزار لم يقتصر على الجانب العلاجي فقط، بل أدى دورًا اجتماعيًا مهمًا من خلال خدمة المجتمع والاهتمام بأحوال الناس. كما تجاوز تأثيره حدود القيروان وشمال إفريقيا ليصل إلى المشرق والأندلس وأوروبا، الأمر الذي يؤكد المكانة العلمية والحضارية التي بلغها، ويبرز إسهامه في نقل وتطور المعرفة الطبية في الحضارة الإسلامية والإنسانية.

الخاتمة

الحمد لله في البدء والختام على توفيقه لإتمام هذا الجهد.

قبل عرض أهم النتائج الجوهرية التي تمخضت عنها الدراسة يقتضي الإشارة الى ذلك التحدي المعرفي الذي رافق مسار البحث منذ بدايته والمتمثل في شح المادة المصدرية لمكانة العلماء الاجتماعية في الغرب الإسلامي المؤرخ والطبيب ابن الجزار القيرواني نموذجا ورغم هذه التحديات حاولنا قراءة المادة الخبرية المتوفرة والعمل على تجميع شتات المعلومات المبعثرة في المصادر والمراجع المختلفة لصياغة صورة متكاملة عن الدور الاجتماعي للعلماء وعلى رأسهم الطبيب والمؤرخ ابن الجزار القيرواني وهذه أهم النتائج المتوصل إليها:

- ✓ تعتبر القيروان من أقدم وأهم المدن في الغرب الإسلامي ومركز إشعاع علمي وثقافي وقد وجد بها الكثير من المؤسسات العلمية من بينها بيت الحكمة حيث كان هذا البيت نواة لمدرسة الطب القيروانية والتي أثرت في الحركة العلمية في الغرب الإسلامي.
- ✓ عرف الغرب الإسلامي بزوغ أعلام ونوابغ في شتى صنوف العلوم والفنون سواء تعلق الأمر بالفلسفة أو الرياضيات أو الفلك أو الكيمياء أو التاريخ أو الطب أو غيرها من العلوم ويمثل ابن الجزار أحد أعلام الكبار الذين عرفهم الطب العربي الإسلامي وأحد نوابغ القيروان.
- ✓ ساهمت الرحلات العلمية إلى بلاد المغرب في تطوير علم الطب أين كان لها دور كبير في تكوين أطباء ذوي كفاءة عالية كابن الجزار القيرواني ولعل أبرز الوافدين إلى المغرب هو إسحاق بن سليمان الإسرائيلي.
- ✓ عرفت افريقية إنشاء مؤسسات علاجية كالدمن (البيمارستانات) واتخذ أطباء المغرب بيوتهم عيادات للتداوي مثل ابن الجزار القيرواني. ويعد أول طبيب فصل بين الطب والصيدلة.
- ✓ لم تلق شخصية ابن الجزار تلك العناية من كتب التراجم كما حظي أقرانه من علماء المغرب الإسلامي، ويرجع سبب ذلك في الفترة التي عاش فيها ابن الجزار، والتي كانت

فيها اضطرابات وعدم استقرار، الأمر الذي أفقد تواصل السند العلمي والتوارث الثقافي بين الأسر والمدارس.

✓ عند تقصي المصادر والتراجم التي تحدثت عن ابن الجزار نجد أغلبها نقلت عن بعضها البعض فابن أبي أصيبعة نقل عن ابن جلجل والياقوت بدوره نقل عن صاعد الأندلسي وهذا مما صعب في عملية التوسع والتعمق في معالم شخصيته وتفاصيل حياته.

✓ ألف ابن الجزار عدة مؤلفات ما بين كتب ورسائل ومقالات في عدة ميادين، ولم تقتصر مؤلفاته على الطب فقط بل في مجالات أخرى كالتاريخ والجغرافيا والأدب والفلسفة.

✓ اتسمت علاقة ابن الجزار بالسلطة في عصره باستقلالية والتوازن وخدمة المريض مهما كانت منزلته، حيث نفع بطبه العام والخاص مما عزز في منزلته ومكانته الاجتماعية.

✓ بسبب شهرة عائلة (بني الجزار) إلى جانب غناه وثرائه وسيرته الحسنة وأخلاقه الفاضلة أسهمت في ترسيخ مكانته في المجتمع وإعطاء صورة ايجابية عنه اجتماعيًا.

✓ اهتم ابن الجزار بمختلف شرائح المجتمع وذلك من خلال مؤلفاته (طب الأطفال، طب المشايخ، الفقراء والمساكين،...) وعالج فيها مختلف أمراضهم، اكتسب بفضلها مكانة اجتماعية مميزة مما عزز حضوره اجتماعيا .

✓ ساعدت شهرة ابن الجزار داخل وخارج المغرب الإسلامي على ترجمة مؤلفاته الى عدة لغات وانتشارها في الدوائر الأوروبية والمشرقية وحظي بتقدير كبير من العلماء.

✓ يعد ابن الجزار القيرواني أحد الأطباء المسلمين الذين أنجبهم المغرب الإسلامي وخلد ذكراهم في المصنفات التي أرخت للعلم والطب العربية منها والغربية.

✓ تجلت المكانة الاجتماعية لابن الجزار في ارتباطه المباشر بالمجتمع وثقة الناس فيه، نتيجة جمعه بين الكفاءة العلمية من خلال الممارسة الطبية اليومية وكذا سمعته وأخلاقه طيبة.

- ✓ عكست شخصية ابن الجزار تغيراً واضحاً في نظرة المجتمع الى الطب، إذ لم يعد الطبيب مجرد معالج بل أصبح فاعلا اجتماعيا ذا مكانة معتبرة، يوازي في أهميته علماء الفقه والدين داخل مجتمع الغرب الإسلامي.

الملاحق

الملحق رقم (01): ابن الجزار كما تخيله محقق كتاب المعدة وامراضها ومداواتها1.

المصدر: ابن الجزار، المعدة وأمراضها، المصدر السابق، ص 49.

الملحق رقم (02):صورة نسخة الظاهرية لكتاب المعدة وامراضها و مداواتها لابن الجزار القيرواني1.

- صورة غلاف نسخة الظاهرية.

المصدر: ابن الجزار، المعدة وامراضها، المصدر السابق، ص49.

الملحق رقم (03): صفحة الصورة الأخيرة من محظوظة باريس (لكتاب زاد المسافر).

صفحة الصورة الأخيرة من مخطوطة باريس (لكتاب زاد المسافر)[1].

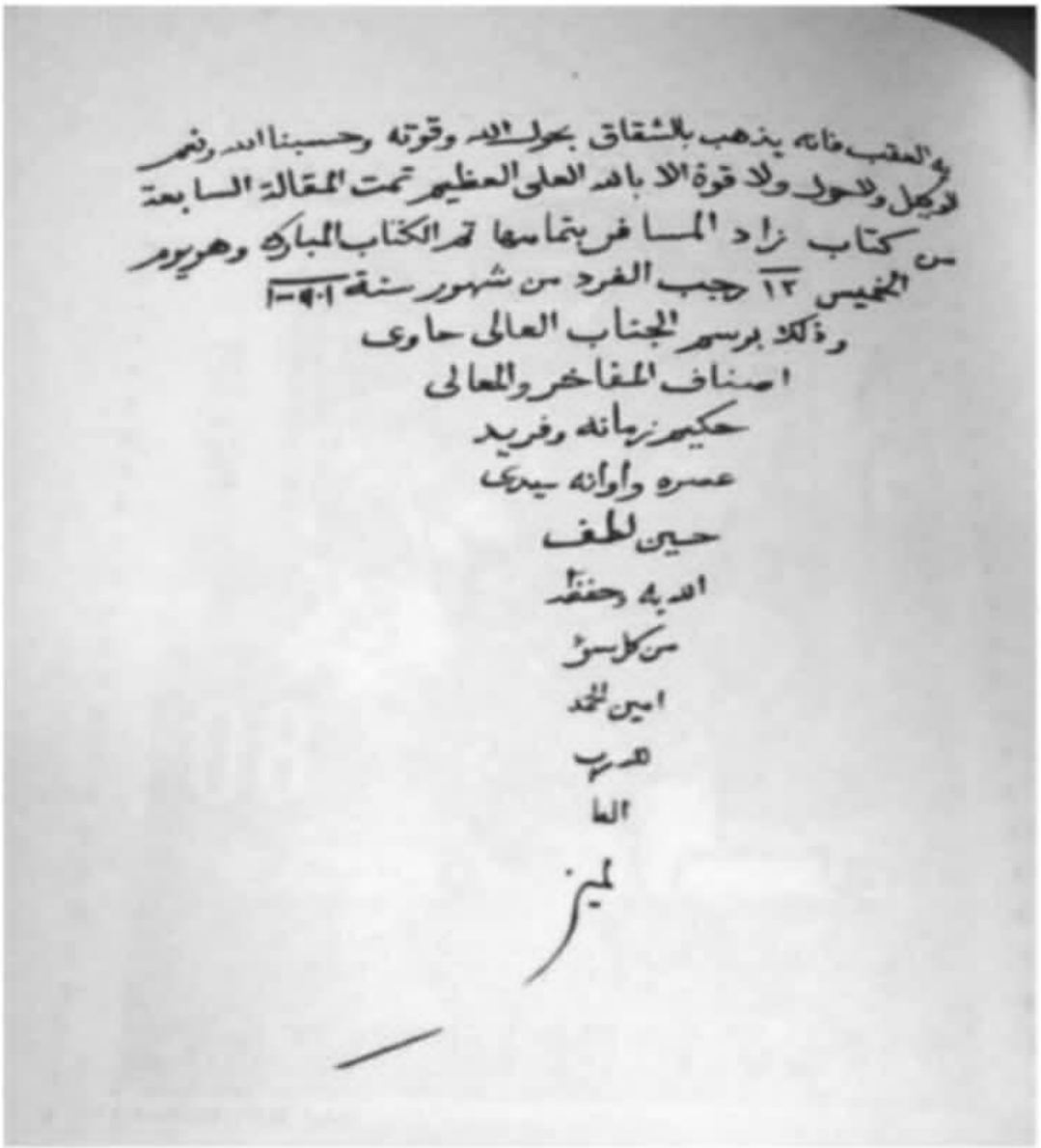

[1] -ابن الجزار، زاد المسافر، المصدر السابق، ج2،ص682.

المصدر: ابن الجزار، زاد المسافر، المصدر السابق، ج2، ص 682.،

الملحق رقم (04): مخطوط من كتاب زاد المسافر باللغة اللاتينية (مكتبة رانس).

مخطوط من كتاب «زاد المسافر
باللغة اللاتينية (مكتبة رانس Reims)

66

المصدر: الطب العربي التونسي في عشرة قرون، المرجع السابق، ص 66.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا المصادر:

- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق: نزار رضا، بيروت: دار مكتبة الحياة، 1965.
- ابن الجزار القيرواني، طب الفقراء والمساكين، تحقيق: الراضي الجازي وفاروق عسلي، تونس: بيت الحكمة، 2009 .
- ابن الجزار القيرواني، طب الفقراء والمساكين، تحقيق: كاظم آل طعمة، طهران: معهد الدراسات الإسلامية، ط1، 1996 .
- ابن الجزار القيرواني، كتاب في المعدة وأمراضها ومداواتها، تحقيق: سلمان قطابة، العراق: دار الرشيد للنشر، 1980 .
- ابن الجزار، زاد المسافر وقوت الحاضر، تحقيق: د. محمد سويسي وآخرون، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون "بيت الحكمة"، أوربيس للطباعة، 1999، ج1.
- ابن الجزار، سياسة الصبيان وتدبيرهم، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، تونس: بيت الحكمة، 2009م .
- ابن الجزار، كتاب في طب المشايخ وحفظ صحتهم، تحقيق د. فاروق عمر العسلي، ود. الراضي الجازي، بيت الحكمة، 2009.
- ابن الجزار، كتاب في طب المشايخ وحفظ صحتهم، تحقيق: د. فاروق عمر عسيلي، ود. الراضي الجازي، تونس: المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون "بيت الحكمة"، مطبعة الوفاء، 2009.
- ابن جلجل أبو داود بن سليمان، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1905–1985.
- ابن عذاري المراكشي، كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج. س كولان وليفي بروفنسال، بيروت: دار الثقافة، 1980م، ج1.
- أبو الحسن علي بن أبي الكرم ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1987 .

- أبو جعفر أحمد بن الجزار، كتاب في فنون الطيب والعطر، تحقيق: الراضي الجازي وفاروق عسلي، تونس: المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة)، ط2، 2007 .
- أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق: بشير البكوش، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1994، ج2 .
- الأندلسي صاعد، طبقات الأمم، تحقيق: لويس شيخو، بيروت: الطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، 1912(+تح: حياة بوعلوان، ط1 دار طليعة للنشر، بيروت1985).
- بن الجزار، سياسة الصبيان وتدبيرهم، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، تونس: بيت الحكمة، 1986 .
- تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الخلفاء، تحقيق: جمال الدين شيال، القاهرة، ط1، 1948، ج1 .
- جمال الدين لابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 2003، ج7.
- حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت، دار احياء التراث العربي، مج2، د، ت، ن.
- الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدميري، بيروت: دار الكتاب العربي، ط2، 1993، ج26 .
- عبد الله بن عبد العزيز البكري، المسالك والممالك، تحقيق: أدريان فان ليوفن، 1992 .
- عبد الله بن محمد المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق: بشير البكوش، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 1414هـ/1994م، ج2 .
- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، تحقيق: فرحات الدشراوي، تونس/الجزائر، 1986 .
- القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، 1983 .
- المالكي أبو بكر عبد الله، رياض النفوس في طبقات علماء إفريقية، تح: بشير بكوش، محمد العروسي، ط2، بيروت–لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1924، ج1.

- ياقوت الحموي، معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1993، ج1.
- ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت: دار صادر، ط2،1995م، ج6.

ثانيا: المراجع

- أحمد الطويلي، تاريخ القيروان الثقافي والحضاري، تونس: الشركة التونسية للنشر، 2001 .
- أحمد عيسى بك، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، بيروت: دار الرائد العربي، ط2، 1981م .
- انخل بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، تر: حسين مؤنس، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، د.ت.ن .
- بن الجزار، الفرق بين العلل، تحقيق: عمر الشاذلي، تونس: بيت الحكمة، 2008، 10.
- بن مراد إبراهيم، بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1411هـ/1991م .
- بن ميلاد أحمد، الطب العربي التونسي في عشرة قرون، تونس، ط2، 1999م.
- التليسي بشير رمضان، الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، بيروت: دار المدار الإسلامي، ط1، 2003م .
- حسن حسني عبد الوهاب، بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق، تونس: مكتبة المنار1330 هجري .
- حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية الإسلامية بإفريقية التونسية، تونس: مكتبة المنار، 1972 .
- الحسين محمد شواط، مدرسة الحديث في القيروان من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري، الرياض: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، 1411هـ .
- حوالة يوسف بن أحمد، الحياة العلمية في إفريقية (المغرب الأدنى) منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري 450هـ، السعودية، ط1، 2000م، ج2 .
- د. حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة: دار الرشاد، ط5، 1421هـ/2000م .

- رحيمي عبد الحفيظ، أجهزة الأمن الداخلي في الدولة الفاطمية ببلاد المغرب 297هـ/363هـ /911-974م، جامعة بشار، د، ت، ن .
- الزركلي خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء، بيروت: دار العلم للملايين، ط15، 2002م، ج3.
- زيتون محمد محمد، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، القاهرة: دار المنار، ط1، 1998م .
- زيتون محمد، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار، القاهرة، ط1، 1988 .
- السامرائي كمال، المختصر في تاريخ الطب العربي، دار النضال، د، م، ن. د، ت، ن. ج1 .
- الشيخ حسين عادل محمد، ابن الجزار القيرواني: سيرته، مؤلفاته، جهوده في الطب والصيدلة، بغداد: مركز إحياء التراث العلمي، ط1، 1989.
- عادل محمد علي الشيخ حسين، ابن الجزار القيرواني سيرته مؤلفاته وجهوده في الطب والصيدلة، جامعة بغداد، 1988 .
- علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر وديوان الغرب الإسلامي، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2008م .
- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تر: يعقوب بكر ورمضان عبد التواب، القاهرة: دار المعارف، ط2، د.ت، ن. ج3 .
- محسن حسني عبد الوهاب، كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين، مراجعة وإكمال: محمد العروسي المطوي، بشير البكوش، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2005، مج2، القسم 1 .
- محمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ الغرب من الفتح الإسلامي إلى العصر الحديث، المغرب: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1983، ج1 .
- محمد جمال الدين، سرور تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة: دار الفكر العربي، د، ت، ن .
- محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصائرها، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1398هـ/1978م .

- محمد محمد زيتون، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، القاهرة: دار المنار، ط1، 1988م .
- محمود الجليلي، المكاييل والأوزان والنقود العربية، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2005م .
- مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، تحقيق: عبد القادر بوباية، بيروت: دار الكتب العلمية، 2007 .
- هونكه زغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، تر: فاروق بيضون وكمال دسوقي، بيروت: دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، ط8، 1993م.

ثالثا: الكتب الأجنبية

- LECLERC Lucien ،Histoire de Medicine Arabe ،Paris : Ernest Leroux ،1879.
- Mohamed Bergaoui ،Médecine de Tunisie : Tunisie, Carthage à nos jours ،2010.

رابعا: المقالات العلمية (مجلات)

- بخدة طاهر، (ابن الجزار طبيبًا ومؤرخًا)، مجلة العصور الجديدة، ع24-25، جانفي 2017.
- بن حاج ميلود، (علاقة العلماء بالسلطة ودورهم في الحياة السياسية بالأندلس)، مجلة دراسات وأبحاث، مج10، ع04، 2018 .
- بن مراد إبراهيم، (أحمد بن الجزار القيرواني حياته وآثاره وتأثيره)، مجلة الحياة الثقافية، ع41، 1986 .
- بن مراد إبراهيم، (التداخل اللغوي والثقافي في كتاب الاعتماد)، حوليات الجامعة التونسية، ع22، 1983 .
- بودالية تواتية، (العناية بالطفل عند ابن الجزار القيرواني)، مجلة عصور جديدة، ع23، 2016 .
- جهيدة بوجمعة، (أثر ابن الجزار القيرواني في تطوير ممارسة الطب في شمال إفريقيا وأوروبا)، مجلة عصور، مج22، ع02، أوت 2023 .

- جهيدة بوجمعة، (أثر ابن الجزار القيرواني في تطوير ممارسة الطب في شمال إفريقيا وأوروبا)، مجلة عصور، مج4، ع4، أوت 2005.
- خالد ارزاذ،(أثر المدرسة القيروانية في إثراء الحركة العلمية)، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، مج19، ع2، 2022 .
- خلوط أسماء، (ابن الجزار القيرواني أول طبيب مسلم)، مجلة العصور، مج22، ع02، أوت 2023.
- ديب صفية، (الإسهامات الطبية والصيدلية بالقيروان)،مجلة الباحث، مج13، ع01، 2021 .
- رجاء العبدلي، (كتب الطب كمصدر للكتابة التاريخية: ابن الجزار القيرواني نموذجًا)، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، ع10، 2018م.
- سادسة الحلاوي، (ابن الجزار القيرواني طبيبًا ومؤرخًا)، جامعة واسط، ع7 .
- قادة دين، (ابن الجزار القيرواني ومصنفه في الطب المعدة)، مجلة عصور جديدة، ع02، أوت 2023.
- مبارك بوطارن، (القيروان بوصفها أول حاضرة إسلامية في بلاد المغرب، حوليات التاريخ والجغرافيا)، مج8، ع2 .
- محمد بوشريط،(ابن الجزار القيرواني وإسهاماته العلمية)، مجلة عصور جديدة، ع23، 2016.
- مختار عمارة، (مجالس الحكمة في الدولة الفاطمية وأهدافها المذهبية والسياسية)،مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج12، ع1، 2021 .
- نوال بالمداني، (عرض كتاب من التراث الطبي بالمغرب الإسلامي: طب الفقراء والمساكين لابن الجزار القيرواني)، مجلة عصور جديدة، ع23، أوت 2016.

خامسا: أطروحات ومذكرات

- سرق مريم، شويط سهام، (علم الطب في المغرب الإسلامي خلال القرن 4هـ ابن الجزار القيرواني نموذجًا)، مذكرة تخرج، المدرسة العليا للأساتذة طالب عبد الرحمان بالأغواط، 2023/2022 .

محاضرات

- محمد حقي، إمارة الأدارسة، محاضرات جامعة مولاي إسماعيل، موسم 2020-2021 .

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
شكر وتقدير	أ-هـ
الإهداء	
مقدمة	
تمهيد	1-10
الفصل الأول: السيرة والمسار العلمي لابن الجزار القيرواني	
المبحث الأول: سيرة ابن الجزار	14
المطلب الأول: مولد ابن الجزار ونسبه	14
المطلب الثاني: اختلاف المؤرخين في تحديد سنة الميلاد ووفاة ابن الجزار	14
المطلب الثالث: محاولة تقريب في سنة ولادة ووفاء ابن الجزار	19
المبحث الثاني: النشأة والحياة الاجتماعية لابن الجزار	20
المطلب الأول: النشأة والبيئة الأسرية	20
المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه	22
المطلب الثالث: تنظيم العيادة والصيدلة عند ابن الجزار	23
المطلب الرابع: مذهب ابن الجزار	24
المبحث الثالث: جهوده العلمية ومؤلفاته	27

المطلب الأول: جهوده العلمية	27
المطلب الثاني: مؤلفاته الطبية	29
الفصل الثاني: البعد الإجتماعي لمكانة ابن الجزار ودلالتها	
المبحث الأول: علاقة ابن الجزار بالسلطة في عصره	41
المبحث الثاني: مكانة ابن الجزار لدى العامة.	44
المطلب الأول: شهرة العائلة	45
المطلب الثاني: الصفات والأخلاق	47
المطلب الثالث: شهرة أحمد ابن الجزار كطبيب	50
المبحث الثالث: مكانة ابن الجزار بين العلماء وطلبة العلم	51
المطلب الأول: مكانته بين العلماء	51
المطلب الثاني: مكانة ابن الجزار بين طلبه العلم	53
المبحث الرابع: الطب ودوره الاجتماعي عند ابن الجزار	54
المبحث الخامس: أثر ابن الجزار	56
المطلب الأول: أثر ابن الجزار في شمال إفريقيا	56
المطلب الأول: تأثير ابن الجزار على المشرق	58
المطلب الثالث: تأثير ابن الجزار على الأندلس وأوروبا	60
الخاتمة	64

الملاحق	68
قائمة المصادر والمراجع	73
فهرس الموضوعات	81
الملخص	86

قائمة الأشكال:

الرقم	عنوان الشكل	الصفحة
الشكل 1	دائرة نسبية توضح اختلاف المؤرخين في ذكر سنة الميلاد ابن الجزار	15
الشكل 2	دائرة نسبية توضح اختلاف المؤرخين في ذكر سنة وفاة ابن الجزار	18

قائمة الجداول

الرقم	عنوان الجدول	الصفحة
الجدول 1	يوضح اختلاف المؤرخين في ذكر سنة الميلاد ابن الجزار ووفاته	17

ملخص الدراسة

شهد المغرب الإسلامي نهضة ثقافية في مختلف الميادين معرفية خصوصا في نهاية القرن الثالث الهجري التاسع ميلادي وظهور القرن الرابع الهجري 10 م وكانت القيروان من الحواضر التي أنجبت عددا ممن تعاطوا هذه النهضة العلمية وخاصة في مجال الطب فكان من بين هؤلاء العلماء الكبار ابن الجزار القيروان من عائلة طبية وإنتاج المدرسة القيروانية ألف العديد من الكتب في شتى المجالات وأبرزها في مجال الطب وبرز في ممارسة الطب واهتمامه بمختلف فئات الناس ومعالجة أمراضهم وقد كان ابن الجزار فاعلا اجتماعيا مما منحه قيمة اجتماعية حيث جمع بين العلم والعمل مما جعل مكانته راسخة ومؤثرة في محيطه وأسهمت مؤلفاته الطبية والتي عكست سعة علمه وعمق تجربته في انتشار اسمه داخل المغرب الإسلامي وخارجه وصولا إلى المشرق والأندلس وأوروبا وقد كان لهذا الإنتاج اثر كبير في ترسيخ مكانته ليس فقط كطبيب بل كالعالم للحضور الاجتماعي والثقافي الواسع.

الكلمات المفتاحية: مكانة العلماء الاجتماعية، الغرب الإسلامي، ابن الجزار القيرواني، الطب.

Study Summary

The Islamic Maghreb witnessed a cultural renaissance across various fields of knowledge, particularly at the end of the 3rd century AH (9th century AD) and the beginning of the 4th century AH (10th century AD). Kairouan was one of the prominent centers that produced a number of scholars who contributed to this scientific revival, especially in the field of medicine. Among these great scholars was Ibn al-Jazzar of Kairouan, who came from a medical family. The Kairouan school produced numerous works in various disciplines, most notably in medicine. Ibn al-Jazzar distinguished himself in the practice of medicine through his attention to different segments of society and his treatment of their illnesses. He also played an active social role, which granted him significant social value, as he combined knowledge with practice. This helped establish his firm and influential position within his community. His medical writings, which reflected the breadth of his knowledge and the depth of his experience, contributed to the spread of his reputation within the Islamic Maghreb and beyond, reaching the Mashriq, al-Andalus, and Europe. This intellectual production played a major role in consolidating his status, not only as a physician but also as a scholar with a broad social and cultural presence.

Keywords: The social status of scholars, the Islamic West, Ibn al-Jazzar, medicine.